صلاح الدين

في الشعر العربي المعاصر

الدكتور صالح جواد الطعمة

أستاذ العربية والأدب المقارن

جامعة انديانا ـ الولايات المتحدة

النادي الأدبي ـــ الرياض

كتاب الشهر (٩)

رمضان ١٣٩٩ هـ - أغسطس ١٩٧٩ م

النادي الأدبي بالرياض

المملكة العربية السعودية - الرياض ص.ب. ٨٥٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات



كلمة شكر

وضعت الخطوط الاولى لهذه الدراسة عام ١٩٧٠ عندما نشرت مقالا عن الموضوع ذاته في مجلة الآداب اللبنانية (تشرين الثاني نوفمبر ١٩٧٠) وقد تجمعت لدي نماذج اخرى لاسيما من الشعر السعودي رأيت ان من الخير اضافتها وتطوير المقال المذكور الى دراسة مستقلة تيسر للقارىء الوقوف على استخدام الشاعر العربي الحديث لأحد الرموز البطولية منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا ، وكان هدفي الاستشهاد بأكبر عدد ممكن من الشواهد الشعرية بغض النظر عن قيمتها الفنية لبيان مدى افتتان الشاعر العربي بصلاح الدين كرمز بطولي. وللدراسة جزء ثان يحتوي على نصوص القصائد التي قيلت في صلاح الدين او حطين آمل ان يتاح له الظهور في وقت قريب.

ويسرني ان اشكر للنادي الأدبي بالرياض تفضله بالموافقة على طبع هذه الدراسة ضمن منشوراته علما بان ذلك لا يعني انه يشاركني الرأي فيما ورد فيها من احكام او أفكار او نصوص بل المسؤولية تقع على عاتقي وحدي.

الرياض ١٣٩٩ (١٩٧٩) .

صالح جواد الطعمة

استاذ العربية والادب المقارن

جامعة انديانا

— ١ —

تمهيد

يتميز الشعر العربي الحديث بظاهرة اللجوء إلى رموز بطولية كثيرة مستمدة من التاريخ والدين والتراث الشعبي او الأساطير ، يستعين بها الشاعر في التعبير عن معاناته لواقع لا يرتضيه مستوحيا منها ما يعينه على تحديد رؤيته لحياة أفضل، او إثارة مشاعر معينة تقترن بالرموز المستحضرة لاسيما في السياق السياسي.

ولا شك في ان اختيار الشاعر لنمط معين من الرموز او تركيزه على بعضها يعكس الى حد كبير منحاه العقائدي ، فشوقي الاسلامي النزعة معروف باستشهاداته الاسلامية وسليمان العيسى يكاد يقتصر في تغنيه البطولي على أصول عربية ، بينما يتسع أفق عبد الوهاب البياتي فيشمل رموزا متصلة بمختلف الاديان والقوميات . كما انه من الطبيعي ان يتجه الشاعر في شعره السياسي الى تاريخه القومي بالدرجة الاولى يستحضر منه ما يلقي ضوءا على الوضع المعاصر او ما يجد فيه العبرة او النموذج المثالي ، ولهذا تتكرر الاشارات إلى عدد كبير من الشخصيات العربية الاسلامية كخالد بن الوليد وعبد الرحمن

الداخل والحسين وابي العلاء المعري والحلاج والمتنبي سواء أكان القصد منها الكشف عن مساويء وضع داخلي او مواجهة خطر العدوان الغربي المتواصل (١).

ولم يقتصر استشهاد الشاعر بنماذجه على بيت او بضعة ابيات بل استحال في كثير من الاحيان الى قصائد طويلة تمجد بسالة الابطال وتصف اعمالهم وسجاياهم بشيء من التفصيل، كقصيدة احمد شوقي في عبد الرحمن الداخل وعمر أبي ريشة في خالد بن الوليد وعلي محمود طه او علي الجندي في طارق بن زياد وشكيب ارسلان في صلاح الدين الايوبي او معركة حطين وسليمان العيسى في أبي ذر الغفاري (٢).

ويتميز صلاح الدين الأيوبي (١١٣٨ — ١١٩٣) بمكانته المرموقة في مجالي الأدب والدراسات التاريخية او العسكرية

---

(١) انظر مثلا اشادة الشعراء بعظماء العرب في كتاب : أحمد محمد الحوفي وحدة الثقافة والتاريخ في الشعر الحديث (القاهرة : ١٩٦٥) ٤٢ — ٦٥ ، والدلالة القومية لهذه الاشادة ؛ : عمر دقاق ، الاتجاه القومي في الشعر المعاصر (القاهرة : ١٩٦١) ٣٩٠ — ٣٩٤ .

(٢) للوقوف على بعض المطولات انظر : سعد الدين محمد الجيزاوي : العامل الديني في الشعر المصري الحديث (القاهرة : ١٩٦٤) ٥٢٠—٥٢١ ، واحمد محمد الحوفي : التراث الروحي والشعر الحديث (القاهرة : ١٩٦٦) ٣٩ — ٤٦ ، ومحمد زغلول سلام ؛ : القومية العربية في الادب الحديث (القاهرة : ١٩٥٩) ، وجمال الدين الآلوسي « المطولات او شعر الملاحم » الأقلام (البغدادية) (٤ كانون الاول ١٩٦٢) ٢٤ — ٤٤ .

الحديثة لاسيما في المرحلة التي تلت خلق اسرائيل (٣)، واذا

---

(٣) يستطيع القارىء ان يقدر الأهمية التي نالها صلاح الدين في دراساتنا الحديثة لا سيما بعد خلق اسرائيل ، بملاحظة ما صدر من البحوث الخاصة به ونورد على سبيل المثال مايلي : محمدعطيةالابراشي : أبطالالشرق «صلاح الدين ، محمد فريد ، وسعد زغلول»(القاهرة : ١٩٤٧)وكتابه صلاح الدين الأيوبي (القاهرة : ١٩٥٨) ، محمد فريد أبو حديد : صلاح الدين الأيوبي وعصره (القاهرة : ١٩٢٧) وأنظر كتابه صلاح الدين الأيوبي البطل العربي الذي انتصر على الغرب (القاهرة : ١٩٥٨) وابراهيم الابياري : البطل الخالد : صلاح الدين والدولة الأيوبية (القاهرة : ١٩٦٢) ، أحمد بيلي : حياة صلاح الدين الأيوبي (القاهرة : ١٩٣٦) حبيب جاماتي : الناصر صلاح الدين (القاهرة : ١٩٦٢) ، عبد اللطيف حمزة : صلاح الدين بطل حطين (القاهرة : ١٩٣٧) ، وانظر ما اخرجه بعد ذلك : صلاح الدين سلطان مصر وسوريا (القاهرة : ١٩٤٤) ، وصلاح الدين بطل حطين (القاهرة : ١٩٥٨) ، أحمد علي خليفة : صلاح الدين الأيوبي : بطل موقعة حطين (القاهرة : بلا تاريخ) ، سامي الدهان صلاح الدين الأيوبي (القاهرة : ١٩٦٠) ، أحمد عبد الجواد الدومي : صلاح الدين الايوبي (القاهرة : ١٩٥٨) ، محمود محمد الرساوي : من روائع التاريخ العسكري العربي : يوم حطين (القاهرة : ١٩٦٢) محمد رضا : بطل حطين (القاهرة : بلا تاريخ) جمال الدين الرمادي صلاح الدين الأيوبي (القاهرة : ١٩٥٨) نظير حسان سعداوي : جيش مصر أيام صلاح الدين (القاهرة : ١٩٥٦) عبد العزيز سيد الاهل : أيام صلاح الدين (بيروت : ١٩٦١) ابراهيم علي طرخان : الناصر صلاح الدين وتحرير القدس (القاهرة : ١٩٦٨) سعيد عبد الفتاح عاشور : الناصر صلاح الدين (القاهرة : ١٩٦٥) ، عبد القادر عبد : صلاح الدين الأيوبي والقومية العربية (القاهرة : —

١٩٩١) ، قدري قلعجي : صلاح الدين الأيوبي : رجل غير وجه التاريخ ط ٣ (بيروت : ١٩٥٦) وانظر كتابه : صلاح الدين الأيوبي : قصة الصراع بين الشرق الغرب (بيروت : ١٩٦٦) ، عبد المنعم ماجد : الناصر صلاح الدين الأيوبي ط ١ (القاهرة : ١٩٦٨) وط ٢ منقحة (بيروت : ١٩٦٧) ، ومحمود عزت موسى الناصر صلاح الدين (القاهرة : ١٩٥٨) ، ومحمد الطيب النجار : الصليبيون وصلاح الدين (القاهرة : ١٩٦٢) ، ومصطفى الوكيل : صلاح الدين الأيوبي (القاهرة : ١٩٢٨) ومن الجدير بالذكر ان صلاح الدين كان مصدر وحي لا عمال أدبية أخرى كمسرحية نجيب سليمان الحداد : صلاح الدين الأيوبي (الاسكندرية : ١٨٩٨) ، ومسرحية فرج انطون : السلطان صلاح الدين التي كتبت عام ١٩١٤ ونشرت في القاهرة ١٩٢٣ ، ورواية جورجي زيدان التاريخية : صلاح الدين ومكائد الحشاشين (القاهرة: ١٩١٢ - ١٩١٣)، وحوارية أنيس المقدسي « صلاح الدين مثال البطولة النبيلة » في مواكب النور (بيروت : بلا تاريخ) ٢١٥ - ٢٢١ ، ومسرحية عبدالله حشيمة : « الشفيمان : اللغة والمرأة » العرفان ٥٤ (٦٦ - ١٩٦٧) ٧٤١ - ٧٤٨ ، ومسلسلة محمود شعبان الا ذاعية : صلاح الدين الأيوبي (القاهرة : ١٩٥٧) ، وقصص خليل الهنداوي دمعة صلاح الدين (بيروت : ١٩٥٨) ، عارف تامر : سنان وصلاح الدين (بيروت : ١٩٥٦) ، ومحمد سعيد العريان : « فارس حطين : قصة من وحي المعركة » الكتاب ٦ - (١٩٤٨) ٢٨٩ - ٢٩٨ ، وخطبة اسعاف النشاشيبي ذات الطابع الشعري في : « البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي » (القدس : ١٩٣٦) ، ومجموعة الخطب والقصائد التي يضمها كتاب « ذكرى موقعة حطين » لناشره محب الدين الخطيب (القاهرة : ١٩٣٢).

وقد ألف أخيراً محمود دياب ، الكاتب المسرحي المصري ، مسرحية جديدة عن صلاح الدين بعنوان « باب الفتوح » وبالرغم من نزعة التمجيد السائدة في معالجة الباحثين او الا دباء العرب لصلاح =

كان للشعراء العرب في عصر صلاح الدين ان يشيدوا بانتصاراته(٤) فإن من حق الشعراء اليوم او من واجبهم ان يجددوا ذكره ويستنهضوا باسمه الهمم في الاطار العصري للصراع بين العرب والغرب.

وليس من الغرابة في شيء ان يكتسب صلاح الدين — دون سواه من النماذج المترددة في الشعر الحديث — بمكانة خاصة لا

= الدين ، فان بعضهم حاول ان يخالف هذا الاتجاه بابراز الجوانب السلبية في حياة البطل وسياسة حكمه ، والاشارة الى ما كان له من من دور في استمرار النفوذ الصليبي كما جاء في مقالين — للكاتب اللبناني المعروف حسن الأمين : « حقيقة صلاح الدين : انه لم يزل ظل للصليبية بل ساعد على امتداده » العرفان ٦٠ (٦٧ — ١٩٦٨) ٩٥ — ٩٩، « وأسطورة صلاح الدين » العرفان ٦٠ (٦٧ — ١٩٦٨) ٢٨٦ — ٢٩٢ .

(٤) من المراجع الحديثة التي تتناول ما قيل في صلاح الدين من شعر في العصر الأيوبي نذكر ما يلي : من النقد والأدب ج ٣ (القاهرة : ١٩٦) ١٧٥ — ١٩٤ لأحمد أحمد بدوي ، وانظر كتابه : صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابه (القاهرة : ١٩٦٠) ، وعبد اللطيف حمزه : أدب الحروب الصليبية (القاهرة : ١٩٤٨) ، ومحمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي (القاهرة : ١٩٦٨) ومحمد سيد كيلاني : الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر واالشام (القاهرة : ١٩٤٩) ، وأحمد النجار : الانتاج الأدبي في مدينة الاسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي (القاهرة : ١٩٦٤) ، ومحمد كامل حسين : دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين (القاهرة : ١٩٥٧) .

من حيث تكرار التلميح إليه كبطل يستحق التمجيد فحسب ، بل من حيث التأكيد عليه كرمز للخلاص من المحن التي يعانيها العرب اليوم حتى انه استحال إلى ما يسمى بـ « الصيغة او اللازمة الصلاحية » يكررها الشاعر ويضيف إليها ألواناً وعناصر جديدة كلما أحس بأخطار التحدي الخارجي مكتفياً بالاشارة الخاطفة في بيت او بضعة ابيات ، او مكرساً قصيدة كاملة لوصف اعمال صلاح الدين وسجاياه، وللمقارنة(بطريقة مباشرة او غير مباشرة) بين الماضي والحاضر كما نلاحظ ذلك في « بحيرة طبرية » لشكيب ارسلان ، و« بطل حطين » لعلي الجندي و « يوم حطين » لعدنان مردم .

أما الشعراء الذين استخدموا هذه الصيغة الصلاحية فهم أكثر من ان يشملهم حصر، وبينهم شعراء من مختلف الأقطار العربية يمثلون اتجاهات سياسية او عقائد دينية متباينة وينتمون إلى مذاهب شعرية مختلفة وان كان لشعراء المدرسة التقليدية النصيب الاكبر ، كما تدل على ذلك القائمة التالية التي لا تمثل الا جانبا محدوداً من التلميحات الشعرية إلى صلاح الدين : حافظ ابراهيم — محمد بهجة الأثري — شكيب ارسلان — عبد الوهاب البياتي — علي الجارم — شفيق جبري —عبد الله الجبوري— خالد الجرنوسي — حافظ جميل — علي الجندي — كاظم جواد — محمد مهدي الجواهري — محمد الجيار — موسى الحداد — محمود الحوت — محمد علي الحوماني — محمد الشاذ لي خزنه دار — عبد الغني الخضري — يوسف الخطيب — رشيد سليم الخوري —

محمود درويش – امل دنقل –هارون رشيد –معروف الرصافي – توفيق زياد – محمد محمود زيتون – بدر شاكر السياب – أحمد شوقي – خالد الشواف – محمود محمد صادق – جورج صوايا – جورج صيدح – شاذل طاقه – ابراهيم طوقان – صلاح عبد الصبور – علي صدقي عبد القادر – برهان الدين العبوشي – أنور العطار – عباس محمود العقاد – محمد حسن عواد – غريب محمد غريب – الياس فرحات –محمدالفيتوري –سميح القاسم – عبدالعليم القباني – نزار قباني – ناجي القشطيني – الياس قنصل – زكي قنصل – عبد المحسن الكاظمي – عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) – شفيق الكمالي – محمد مصطفى الماحي – صالح مجدي – أحمد محرم – عدنان مردم – هلال ناجي – كمال النجمي – ابو الوفا محمود رمزي نظيم – عيسى الناعوري – سعدي يوسف – .

واذا ما تأملنا النصوص الكثيرة التي وردت فيها الصيغة منذ اواخر القرن التاسع عشر حتى السبعينات من هذا القرن لوجدناها مرتبطة بثلاثة اطارات متداخلة تتفاوت حدة او وضوحا وفقاً للظروف ومنحى الشاعر العقائدي : الاطار لاسلامي ، والاطار العربي ، والاطار الفلسطيني .

ويمثل الاطار الاسلامي الوجه الاول للصيغة الصلاحية بظهور عناصرها الاولى في سياق الصراع العثماني – الغربي في أواخر القرن التاسع عشر حتى ما بعد الحرب العالمية الاولى كما

نجد ذلك في شعر شوقي وشكيب ارسلان ومحمود محمد صادق وتقل الدلالة الدينية تدريجيا – من غير ان تختفي تماما – عندما يتحول الاستشهاد بصلاح الدين من الاطار الاسلامي العثماني إلى الاطار العربي ، وليس في هذا المنحى من غرابة لاسباب عدة اهمها الطبيعة الدينية للمعارك الصليبية ذاتها والعامل الديني الذي دفع – ولا يزال يدفع – بعض الشعراء الى ابراز الدلالة الدينية لصلاح الدين . وفي هذه المرحلة تبدأ الصيغة بتحديد عناصرها الاساسية التي تدور حول ما يلي :

أ – الدور البطولي لصلاح الدين كحامي الاسلام ومحرر الديار الاسلامية من الغزاة.

ب – روحه اللاعدائية تجاه المسيحية وبراءة المسيح مما يرتكب باسمه.

حـ – سمو خلقه ونبله في تعامله مع اعدائه وعدله وزهده وتواضعه في خدمة قومه.

د – التلميح إلى الغزو الاوربي الجديد كامتداد للحروب الصليبية .

هـ – لوم المسلمين على اهمالهم لذكراه ، ودعوتهم إلى الاقتداء به في المواجهة الجديدة مع الغرب .

ثم تترى الاشارات إلى صلاح الدين في اطار عربي بعد الحرب العالمية الاولى مشيدة بدوره كمحرر من غير التأكيد

على البعد الديني ، ولا تكاد الصيغة تدرك الثلاثينات حتى تصبح القضية الفلسطينية مدارا لها فتواصل فاعليتها كأداة تعبيرية بارزة في الشعر الحديث لا بتكرار عناصرها الاولى فحسب بل باكتساب ملامح جديدة تعكس جوانب ايجابية او سلبية في الموقف العربي المعاصر، وفي مقدمتها الايمان المتفائل ببعث روح صلاح الدين وروية اوجه شبه بينه وبين بعض القادة المعاصرين، والالماح إلى ان غرور الانتصار الذي اخذ به المعتدون اليوم — كغرور اسلافهم — لا محالة إلى زوال ، ومنها التعريض بالحكومات العربية التي لم تستطع ان تحقق وهي مجتمعة ما حققه صلاح الدين منفردا ، والاحساس بمرارة الخيبة في انتظار مثيله والسخرية بدعاوى البطولة الوهمية .

ومما يلاحظ ان الصيغة في مرحلتها الفلسطينية اتسمت — باسرافها في المبالغة في التفاؤل ، في افتعال اوجه الشبه بين صلاح الدين وبعض القادة العرب كجمال عبد الناصر ، وفي ما يمكن ان يهبه الواقع من عوامل الانتصار والتأكيد على معجزة البطل الفرد في البحث عن طريق الخلاص.

— ٢ —

صلاح الدين في الاطار الاسلامي

لقد كان أحمد شوقي (١٨٦٨ — ١٩٣٢) — وهو الشاعر الاسلامي المنحى — في طليعة المعنيين بالدلالة الدينية ل « صلاح الدين » (٥) ، وقد وردت في شعره اشارات (٦) يشيد فيها

(٥) ليس شوقي بأول شاعر لمح الى صلاح الدين في الفترة الحديثة ، فقد سبقه آخرون كالشاعر صالح مجدي ، المصري المولد ، المكي الاصل ، (١٨٢٥ — ١٨٨١) الذي أشاد ببطولة صلاح الدين وتمنى ان يتشبه به في قصيدة اراد بها استثارة همم المصريين لمقاومة النفوذ الاجنبي . راجع محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج ١ (القاهرة : ١٩٦٢) ١٣٧ — ١٣٨ .

(٦) ماهر حسن فهمي : شوقي وشعره الاسلامي (القاهرة : ١٩٥٩) ١١٩ — ١٢٠ لقد أشار المؤلف الى ثلاثة مواضع ذكر فيها شوقي صلاح الدين الأيوبي واهمل اشارات اخرى وردت في قصائده، كقصيدة « البحر الأبيض » حيث يقول :

سيد الماء كم لنا من (صلاح) و(علي) وراء مائك ذكـــرى

مشيراً الى صلاح الدين ومحمد علي باشا ، وقصيدته الشهيرة في نكبة دمشق وقصيدته (الأندلس الجديدة) التي يشبه فيها غلبة البلغار على ادرنه (١٩١٢) بحملة الصليبيين ، و « تحية لضيف عظيم » التي وردت في : الشوقيات المجولة محمد صبري ج ١ (القاهرة : ١٩٦١) ٣٠٠—٣٠٢.

بالبطل الاسلامي ، أقدمها ما جاء في قصيدته «كبار الحوادث في وادي النيل » التي قالها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد في مدينة جنيف سنة ١٨٩٤ (٧). والقصيدة من مطولاته الشهيرة ، يستعرض فيها الشاعر – كما يوحي عنوانها – الأحداث البارزة في تاريخ مصر منذ العهد الفرعوني حتى العهد العثماني ، وقد خص آل أيوب بعدد من الأبيات التي تصف بسالتهم في الذود عن الاسلام ، مستشهدا بصلاح الدين كحصن الاسلام .

يعرف الدين من صلاح ويدري
من هو المسجدان والاسراء

انه حصنه الذي كان حصنــا
وحماه الذي به الاحتماء

يوم سار الصليب والحاملوه
ومشى الغرب قومه والنساء

بنفوس تجول فيها الامـــاني
وقلوب تثور فيها الدماء

يضمرون الدمار للحق والناس(م)
ودين الذين بالحـــق جاؤا

---

(٧) الشوقيات ج ١ (القاهرة : ١٩٦١) ١٧ – ٣٣ ، وانظر ماورد بشأنها في كتاب فهمي المذكور في اعلاه وعلي نجدي ناصف : الدين والأخلاق في شعر شوقي ٢ (القاهرة ١٩٦٨) ٢٣٩ – ٢٤١.

ويهدون بالتلاوة والصلبان (م)

ما شاد بالقنـــا البنـــاء

فتلقتهم عزائـم صـــدق

نصّ للدين بينهن خبـــاء

والاشارة الثانية وردت في قصيدته « تحية غليوم الثاني لصلاح الدين في القبر » (٨) التي تروي ما أبداه الامبراطور غليوم خلال زيارته لدمشق ١٨٩٨ من اجلال واحترام لصلاح الدين ، وقد القى خطاباً جاء فيه قوله « ومما يزيد في سروري أني موجود في بلد عاش بها من كان اعظم رجال عصره ، وفريد دهره شجاعة وبسالة ، من كان قدومه الشهامة ، والذي كانت شهرته متجلية في الآفاق الا وهو البطل صلاح الدين الايوبي »(٩) ومما قاله شوقي على هذه الوقفة :

عظيم الناس من يبكي العظاما

ويندبهم ولو كانوا عظـــاما

رعاك الله من ملك همـام

تعهد في الثرى ملكا هماما

---

(٨) الشوقيات ج ٤ (القاهرة : ١٩٦١) ٥٦ .

(٩) محمد سامي الدهان : الناصر صلاح الدين الايوبي ص ١٤٢ ، وقد ذكر الاستاذ الدهان في اشارته الى هذه الالتفاته وما تبعها من مظاهر الاحترام انها اثارت مشاعر شعرائنا ، ولكنه لم يذكر غير شوقي .

اری النسیان أظمـــاه فلما
وقفت بقبره كنت الغماما
تقرب عهــده للناس حتى
تركت الجيل في التاريخ عاما
اتدري أي سلطان تحـــيي
وأي مُملك تهدي السلاما !
دعوت اجل اهل الأرض تربا
وأشرفهم إذا سكنوا سلاما
وقفت به تذكره ملـــوكا
تعود ان يلاقوه قيــــامـــا
وكم جمعتهم حرب فكانوا
حدائدها وكان هو الحساما

وشوقي هنا يتحدث عن « صلاح الدين » كبطل من غير الاشارة الى الجانب الديني من بطولته ، وإن كان الدين دافعه ، جامعاً في الأبيات الثلاثة الأخيرة ما عرف عن صلاح الدين من بطولة في الحرب ، ونبل سيرة في السلم ، وما تركه من رهبة او أثر في نفوس أعدائه وما كان يلاقيه – نتيجة ذلك – من اجلال ، وبالاضافة الى ذلك ، يستغل الشاعر المناسبة ليلمح إلى ما لقيه هذا الفارس – على يد قومه – من اهمال ، او نسيان ، ويوحي بأن الفضل في تجديد ذكراه يرجع لمن ينتسب إلى خصومه بصلة ، وقد وضح شوقي في هذ المقصد في تعليقه النثري على

محمد الفاتح وصلاح الدين المنشور في المؤيد (١٨٩٩) قائلا على لسان الدرويش : (١٠).

«ليس بعد الخلفاء الراشدين أفضل من محمد الفاتح وصلاح الدين ، فأما الأيوبي فدرع الاسلام ووقاه وعرينه وحماه ، وسيفه الذي انتضاه فنجاه من الغم وكفاه البلاء الجم ، وجعله مهيبا في ما ضيه ، رهيبا في نفوس أعاديه . . . واني أعجب للكتاب الحاضرين ، والشعراء المعاصرين كيف غفلوا عن تجديد ذكرهما . . . وفي ذلك ما يوقظ راقد الهمم ، ويحيي موات هذه الأمم . . . ويدعو الى التعلق بكبير الآمال ، ويحمل على التشبه بمشاهير الرجال . . . حتى يقول :

أما نحن معاشر المسلمين فما زال تسعة اعشارنا جاهلين حتى عرفنا غليوم من صلاح الدين . . .» وعاد شوقي الى التفاتة غليوم الثاني مرة أخرى عندما زار ابنه مصر عام ١٩٠٣ ، فنظم عدة أبيات يرحب فيها بولي عهد المانيا انذاك « تحية لضيف عظيم » (١١)، ويذكر وقفة أبيه محييا صلاح الدين ، ويدعوه إلى ان يقف من « رمسيس » — رمز مجد مصر — موقف أبيه من صلاح الدين . . فهو أهل لذلك .

ما نسينا وقوفه بصلاح الدين والعالمون في نسيان .

---

(١٠) محمد صبري : الشوقيات المجهولة ١ / ١٨٢ — ١٨٣.

(١١) المصدر نفسه ٣٠٠ — ٣٠١.

كلمات قد زادت القبر طيبا

فوق طيب العظام والاكفان

وهذا الاعجاب بصلاح الدين ، والحرص على تجديد ذكراه دفعا شوقي الى الاستشهاد به في مواضع أخرى منها قصيدتـه « الاندلس الجديدة » التي قالها بعد انتصار البلغار على ادرنه (١٩١٢) ، وشبه فيها الحملات المعادية للعثمانيين بالحملات الصليبية :

عيسى ، سبيلك رحمةو محبة

في العالمين وعصمة وسـلام

ما كنت سفاك الدماء ولا امرأً

هان الضعاف عليه والايتام

أتت القيامة في ولاية (يوسف)

واليوم باسمك مرتين تقام

كم هاجه صيد الملوك وهاجهم

وتكافأ الفرسان والاعـلام

البغي في دين الجميع دنيـة

والسلم عهد والقتال زمـام

واليوم يهتف بالصليب عصائب

هم للاله وروحه ظلام (١٢)

---

(١٢) الشوقيات ١ / ٢٣٤

وفي مرثيته للطيارين العثمانيين اللذين سقطا في طريقهما الى مصر سنة ١٩١٣ ، ودفنا في دمشق ، يضفي على مثواهما قدسية مستمدة من « ضريح صلاح الدين » :

حتّى نزلتم بقعة فيها الهـوى
من قبل ثاو والسماح نزيل
عظمت وجل ضريح «يوسف» فوقها
حتّى كأن الميت فيه رسول(١٣)

وقصيدته المشهورة «نكبة دمشق» التي قيلت في سنة ١٩٢٦ ، تذكر بين ما تذكر من مفاخر دمشق صلاح الدين كتاج لها لم يكتب لسواها أزين منه :

صلاح الدين تاجك لم يجمل
ولم يوسم بأزين منه فرق(١٤)

ان في هذه الامثلة ما يكفي لتوضيح مدى استحواذ صلاح الدين على شوقي كرمز أمثل للبطولة ومكارم الاخلاق ، وقد استدعاه في مناسبات مختلفة متناثرة في فترة امتدت على الاقل بين ١٨٩٨ و ١٩٢٦ . (١٥) .

---

(١٣) الشوقيات ٣ / ١١٩

(١٤) وشوقي يكرر هنا، بصيغة أخرى ، ما قاله قبل ذلك بسنوات كثيرة على لسان محاوره « الدرويش » : « فوالله ما تجمل تاريخ المسلمين بمثلك يا صلاح الدين » ، انظر الشوقيات المجهولة ١ / ١٨٣.

(١٥) لقد عبر شوقي عن اعتزازه بصلاح الدين في مواضع اخرى كاشارته اليه في قصيدتي « البحر الأبيض » و « الربيع ووادي النيل » .

ولعل الامير شكيب ارسلان (١٨٦٩–١٩٤٦) يمثل أقدم شاعر معاصر تناول صلاح الدين بصورة أكثر تفصيلا مما لاحظناه عند شوقي ، وذلك في قصيدته « بحيرة طبرية او واقعة حطين » (١٩٠٢) التي بلغ عدد أبياتها « ١٤٣ » بيتاً (١٦) ، وقد اثنى عليها عدد من النقاد كمارون عبود الذي اعتبرها « أبلغ قصائده ان لم تكن خير ما قيل في موضوع كهذا » (١٧).

والقصيدة – حسب تقسيمها في المقتطف – تتكون من خمسة أجزاء ضم الجزءان الاولان منها (١ – ٥٨) وصفا لمشاهد الطبيعة التي تحيط ببحيرة طبرية ، وعرضا للمعالم البارزة في الحركات التي اقترنت بها المنطقة ، ومقارنة سريعة بين ماض خصب مزدهر ، وحاضر يكاد يكون قفراً حتى ينتهي إلى قوله :

علم عيسى هنـــا شريعتـه

وقوم موسى توراتهم فسروا

---

(١٦) المقتطف ٢٧ (١٩٠٢) ٢٢٦ – ٢٣٢ ، ونشرت كذلك في كتاب « ذكرى موقعه حطين » نشر محب الدين الخطيب (القاهرة : ١٩٣٢) ص ١٢ – ٢١ ، و« ديوان الأمير ارسلان » (القاهرة : ٩٣٥ / ١٩٣٦) ١١٢ – ١٢٢ ، وقد جاء في كتاب أحمد الشرباصي : « أمير البيان شكيب ارسلان » ج ١ (القاهرة : ١٩٦٣) ان عدد ابياتها مائة وأربعون ، بينما حدد العدد بمائة وخمسين في رواية الاستاذ سامي الدهان : « محاضرات عن الأمير شكيب ارسلان » (القاهرة : ١٩٥٨) ومما يجب ذكره ان ارسلان اورد في كتابه « شوقي او صداقة اربعين سنة » : (القاهرة : ١٩٣٦) بضعة أبيات اضافية لم ترد في النص – المنشور في كل من المقتطف والديوان .

(١٧) مارون عبود : رواد النهضة الحديثة (بيروت : ١٩٥٢) ص ١١٣ .

وفي حروب الصليب قد رفعت

أعلام دين الذي نمت مضر

ويبدأ بعد ذلك الجزء الثالث (٥٩ – ٨١) وفيه يستعرض الشاعر أولا الغزو الصليبي وما كان يعاني المسلمون آنذاك من خور وضعف تجاه الخطر الذي كاد يمتد إلى أجزاء أخرى من ديارهم :

يا يوم حطين كم حططت من

الافرنج شأناما كان ينكسر

هبوا من الغرب كالجراد فلم

يكن لشرق بردهم قدر

واستفتحوا القدس والبلاد ولم

يعص عليهم بدو ولا حضر

وهددوا المسجد الحرام وكم

دعا ملب فيه ومعتمر

وكاد يبكي الميزاب فيه دما

ورق مما أصابنا الحجر

ونابت المسلمين داهية

دهماء قد عمهم بها الذعر

فكل كف أصابها شلل

وكل عزم أصابه خور

ثم يتطرق ثانياً إلى دور بعض الولاة والأمراء ــ كعماد الدين زنكي (الموصل) ونور الدين (الشام) ، وعم صلاح الدين « شير كوه » في مقاومة هجمات الصليبيين ليركز الاضواء بعد ذلك على صلاح الدين :

ثم ابن أيوب جاءه خلفـــا
وليس إلا سروجه ســـــرر
مهد دار المـــعز فانقلبـــت
بيوسف مصر وهـــي تفتخر
لما استقامت له الامور ولم
يبق رقيب وانجابت الغـــمر
أقبل في جحفل لـــه لجـــب
يطلب ثأر الدين الذي وتروا

ويحوي الجزء الرابع من القصيدة (٨٢ ــ ١١٥) وصفا للمعركة التي وقعت في حطين (١١٨٧) بين جيش صلاح الدين والصليبيين ، وبسالة المسلمين وانتصارهم ، وحسن معاملة صلاح الدين لاسراه من الامراء باستثناء أمير الكرك آنذاك ــ رينو (ارناط) ، الذي نسبت اليه من الاعمال الوحشية ما دفع صلاح الدين إلى القسم بقتله ان وقع في يده ، كما يقول ــ الرواة (١٨) .

---

(١٨) راجع ما جاء بشأن ذلك في تعليق ارسلان نفسه على القصيدة في كتابه شوقي او صداقة اربعين سنة (القاهرة : ١٩٣٦) ١٩٧ ــ ٢٠١ وكتاب : الشرباصي جـ ٢ /٥٤٢ ــ ٥٤٩.

يوم تلاقى الجمعان والتظت(م)

الهيجاء حتى كأنها سقر

يوم تلاقى الجمعان وانتصب(م)

الميزان رهن انحرافه الظفر

وأمطرتهم قس جيش صلاح (م)

الدين نبلا من دونه المطر

كأنما قومنا وقد ثبتوا

ثم حصون لها القنا جدر

كأنما قومنا وقد وثبوا

زعازع الغصون تهتصر

كأن سوق الجهاد قائمة

وهم بصنف الردى هم التجر

يوسف عصر، صلاح مملكة

بكل أمر للبر مؤتمر

أصبح مستحيا دماءهم

حياؤه والخلائق الزهر

أبى عليه الاباء مصرعهم

وعف إذ عف وهو مقتدر

عفواً به عمهم واخرج من

بنكثه السهل ضاق والوعر

وفي القسم الخامس والاخير (١١٦ – ١٤٣) يلخص الشاعر

ما سببته حطين من هزيمة بعيدة الاثر لسياسة الغرب ، وبعدد ما عرف به صلاح الدين من مآثر وما خلف من ذكر عطر لا بين قومه فحسب بل لدى أعدائه مستشهداً كشوقي بوقفة الامبراطور غليوم في زيارته لدمشق .

ويؤكد الشاعر فيه ان صلاح الدين مسؤول عن نصر المسلمين في واقعة اعتبرت حاسمة في تاريخ الحملات الصليبية ، وانه قام بوجه الاعداء منفردا واسترد حقوق المسلمين ، وأمن دارهم وان اعجاب الناس به قد تجاوز حدود الوطن إلى ديار الاعداء لما اتسم به من رأفة وحلم :

ان عيب بالحلم والوفاء بطل
فانه خير ماهفا البشر
ما شأن طول الاناة في رجل
ان لم يكن شأن باعه القصر
قد كان في رقة وفي جلد
كالسيف في ماء حده الشرر
جمرة بأس ما شابها وهل
غمرة حلم ما شابها كدر

وكان من حرمة العدو له
ان ذكره في بلاده عطر
تغدو عظام الملوك واقفة
ببابه وهو أعظم نخر

وينحني حاسراً بـــترِبته

رأس بأعلى التيجان معتجر

شهادة منهم لخصمـــهم

والحق كالشمس ليس يستتر

والفضل يحيا من بعد صاحبه

والذكر يبقى ولو عدت غير

وأرسلان كشوقي لم يكتف بتمجيده الشعري لصلاح الدين، بل ترجم احدى وصايا البطل لابنه الظاهر الى الفرنسية ونشرها في مجلته التي كان يصدرها في أوربا بالفرنسية ، وصرح في موضع آخر انه ينوي ترجمة سيرة صلاح الدين كلها إلى الفرنسية «لان الافرنج معجبون بأخلاقه ولكنهم يجهلون نوادره التي كسب بها هـــذه الشهرة » (١٩). وممـــا يجدر ذكره ان الشاعر اختتم قصيدته بالبيت التالي :

ونحن من بعد كل ذاك وذا

لم يبق إلا الحديث والســمر

ولعله كان يهدف من ذلك الى اتهام المسلمين أو قادتهم بالتقاعس في ميدان العمل الايجابي ، والتمادي في سياسة الكلام، وفي القصيدة ما يؤيد هذا التعريض بقومه في سياق آخر كقوله:

والغور بين البحرين منبسط

تسرح فيه الجآذر العفـــر

---

(١٩) الشرباصي ص ٥٩٩.

لو طبقته أيدي الورى عملا

على فلسطين فاضت المـــير

قد كان والماء غابراً شرعاً

والآن ما ان يكاد ينحســـر

ويلجأ الأمير ارسلان إلى « صلاح الدين » في اطار اسلامي معاصر عندما ينتهز فرصة تمثيل مسرحية « صلاح الدين » في الاستانة ليحذر قومه من مؤامرة الغرب على الكيان العثماني ، معبراً عن تطلعه إلى قائد كصلاح الدين ، وذلك في قصيدة القاها قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى بسنة (١٩١٣) (٢٠) .

إذا افتخر الشرق القديم بسيد

تميد بذكراه ابتهاجاً محافلـه

ونصت موازين الفخار وقد أتى

يماتن كل خصمه ويساجله

فمن كصلاح الدين تعنو لذكره

رؤوس أعاديه ومن ذا يعادله

يخالط أعماق القلوب ولاؤه

وتفعل أفعال الشمول شمائله

وأقسم لو في الحي نودي بأسمه

لدى سنوات المحل لاخضر ماحله

---

(٢٠) مارون عبود : رواد النهضة ١١٢ – ١١٣، الدهان ، محاضرات ٧٧ – ٧٨ .

وتعيد القصيدة في معظم أبياتها ما جاء في قصيدة بحيرة طبرية من أفكار وصور تتصل بسجايا صلاح الدين وغزو الصليبيين، غير انها تختلف عن سابقتها بأنها أشد صلة بالحاضر في استعادة الماضي . فهي لا تكتفي بالوصف التفصيلي لبطولة صلاح الدين في مواجهة التحدي الغربي كما لا تقتصر على مجرد التلميح العابر إلى تردي الوضع القائم وما كان يتعرض له آنذاك العالم العربي — الاسلامي من خطر ، بل تنتقل انتقالا سريعاً من الماضي إلى الحاضر لتدعو دعوة مباشرة إلى استلهام التاريخ والاعتبار به في مواجهة التحدي الغربي الحديث وذلك في الابيات الاخيرة :

فياوطني لا تترك الحزم لحظة
بعصر أحيطت بالزمام مناهله
وكن يقظاً لاتستنم لمكيدة
ولا لكلام يشبه الحق باطله
وكيد على الاتراك قيل مصوب
ولكن لصيد الامتين حبائله
تذكر قديم الامر تعلم حديثه
فكل أخير قد نمته أوائله

ويتأمل الشاعر المصري محمود محمد صادق مصير العالم العربي الاسلامي وما تعرض له من تجزئة بعد الحرب العالمية فيكتب قصيدته «مخالب الغرب في عنق الشرق» (٢١) في أواخر

(٢١) ديوان صادق (القاهرة : ١٩٢٣) ١٣٧ - ١٤٢ وكتابه : من أدب الثورات القومية وحروب التحرير (القاهرة : ١٩٥٠) ص ٢٨

١٩٢٠ متناولا فيها بين ما تناوله من الموضوعات الغزو الغربي الجديد للقدس والشام ، بأسلوب يسخر فيه من قومه متهماً إياهم بالعجز عن صد العدوان وخذلانهم « صلاح الدين » :

عليك صلاح الدين نهتاج حسرة
على الدين والدنيا ويبكي المهند
عليك سلام الله قد كنت منجداً
ومالك منا اليوم في الخطب منجد(٢٢)
لقد عاد «ريكادوس» وانتهك الحمى
وعاث الصليبيون في الملك واعتدوا
وأما تراهم هددوا عرش تركيا
لعرش جميع المسلمين المهدد

ومن القصائد الخاصة بـ « صلاح الدين » قصيدة الشاعر علي الجندي «بطل حطين» (٢٣)، وفيها نلمس محاولة بارعة لتجسيد سيرة صلاح الدين في لوحة تجمع عناصر البطولة

---

(٢٢) علق الشاعر على البيت بقوله « إشارة إلى اقتحام الصليبيين الشام دون أن يجدوا من يصدهم بل وجدوا من العرب من مهد لهم الطريق فنال الصليبيون بذلك مالم ينالوه من حرب قرنين من الزمن أيام العرب الأول « الديوان : ١٤٠ » .

(٢٣) ديوان الشاعر : « أغاريد السحر » (القاهرة : ١٤٧) ٧٨-٨١، ومهدي علام وآخرون « المطالعة الوافية » جـ ٣ (القاهرة ١٩٦٠) ٣٢١ - ٣٢٣ .

ومكارم الأخلاق ، وتؤكد موقفه الدفاعي عن الدين وحقوق المسلمين أمام الغزو الأجنبي .

وأول ما يفعله الشاعر في مفتتح القصيدة هو أن يعرض سمات البطل البارزة في ضربات فنية متلاصقة ، ليخلص منها إلى القول بأن سر انتصار صلاح‌الدين ينطوي في تلاحم البطولة وشرف النفس :

رق حتى لقيل نفحة روض
كللت وشى زهرة أنداؤه
وسطا فالحمام أحمر لايؤمن بالليل والنهار لقاؤه
وعفا فالحياة فاءت إلى الجاني وفي مخلب الردى حوباؤه
لم يكن يوسف الجمال ولكن
يوسف النبل ما حواه رداؤه

داء أعدائه ، ويأتيهم منه
— بلا منة عليهم — دواؤه
والاسارى ضيوفه ، وعريق
في الندى من ضيوفه إسراؤه
أيدته خلف العوالي سجاياه
وأبلت قبل الظبا آراؤه !
كيف يطوي الخذلان اعلام جيش
البطولات كلها نصراؤه !

كل غاز لم يدرع شرف النفس
هوى – قبل أن يتم – بنـــاوه

وينتقل بعد ذلك إلى المواجهة بين صلاح الدين والصليبيين، فينفي عن البطل أية خصومة للمسيحيين كدين ، ويوحي ببراءة المسيح ممن شهروا السيف باسمه ، ويشير مرة أخرى إلى تضافر العناصر المتباينة التي أسهمت في انتصار البطل : السماحة والقوة . والتواضع والإباء ، ملمحاً إلى أن البطل لم يأخذه الغرور أو التجبر ، بالرغم من معجزة انتصاره ،

لم يكن للصليب خصماً ولكن
حاملوه يوم الوغى خصماوه
شهروا السيف والمسيح بريء
من سيوف يستلها أوليـــاوه
فأتاهم – تحت العقاب حسام
ليس يخزيه في الهياج مضـــاوه
قينه الحق ، والشجاعة والبأس غراراه والسماحة ماوه
يوم حطـين حط كل رفيع
منهمو طاول السماك علاوه
هكذا البغي ليس ينصر باغ
صارع المعتدي الأثيم اعتداوه
وانثنى خاشعاً وان راح مختالا على قمة السحاب لواوه

لم ترنح له المخيلـــة عطفـــاً
وجميل من ظـــافـــر خيـــلاؤه

ويعيد الشاعر إلى الاذهان الصورة المثلى للبطل مبنية على شهادة الاعداء بفضله فى الحرب والسلم :

فارس الغرب راعه فارس الشرق ويدري فضل الفتى اكفاؤه
لم تخيب رجاءه حين رام السلم والحرب لا يخيـــب رجاؤه

أشرف الفاتحين نفساً وسيفاً
من أقرت بفضله اعـــداؤه

ومن القصائد الاخرى التي عنيت بعنصري البطولة والخلق عند صلاح الدين قصيـــدة الشاعر خالـد الجرنوسي « البطولة والرحمة في الاسلام » (٢٤) ويجد فيها القارىء تأكيداً على انسانية البطل ، ومقارنة بين حسن معاملته للاعداء وضراوتهم في التعامل مع أبناء الارض المحتلة .

هو المسلمون الاولون تجمعوا
فكانوا صلاح الدين قد قهر الدهرا
اعادوا إلى الاسلام اسياف خالد
ولا قيصر عال عليها ولا كسرى
يذوب من الاسلام رفقاً ورحمة
ويلقي على الاعداء من عفوه ستّرا

---

(٢٤) خالد الجرنوسي : « قصص اسلامية » (القاهرة : ١٩٦٢) ٩١-٩٤

صليبية بدلت لهفتها رضا
وصيرت عسراً من قضيتها يسراً
وها اهلها الغازون قدحرقواالقرى
فما رحموا طفلاً ولا مهجة حرى

ان هذه الامثلة — والجزء الثاني من الكتاب يضم نماذج أخرى مماثلة لها في الاتجاه — تؤكد على اقتران البطل بدفاعه عن الدين ، وليس في هذا المنحى من غرابة ، لسببين اساسيين أولهما الطبيعة الدينية لمعارك الصليبيين ذاتها وثانيهما الروح الدينية التي دفعت الشعراء أنفسهم كشوقي وارسلان وغيرهما إلى استلهام صلاح الدين في اطار اسلامي خاصة في الفترة التي سبقت انهيار الدولة العثمانية ، اوالروح الصليبية التي انعكست في الغزو الاوربي الجديد مما جعل المفكرين العرب ينظرون إلى الاستعمار الغربي كامتداد للحروب الصليبية (٢٥) .

(٢٥) لقد اشار الاستاذ عبد الله كنون الى هذا الدافع في معرض الحديث عن النزعة الدينية في الشعر العربي المغربي قائلا : « اما الضرب على وتر الدين فانه يمثل وجهة نظرهم الى انطلاقة الاستعمار الاوربي في القرن الماضي التي لم يكونوا يرون فيها الا استمرارا للحروب الصليبية ، وهي وجهة نظر لم تكن بعيدة عن الصواب . الم يقل الجنرال غورو لما دخل دمشق بعد الحرب العالمية الاولى وهو واقف على قبر صلاح الدين : صلاح الدين ! نحن هنا ! وكذلك اللورد اللنبي ألم يقل حين دخل القدس اثناء الحرب المذكورة : الآن انتهت الحرب الصليبية ! ان ادباءنا ليسوا بأقل غيرة دينية من هؤلاء الضباط الكبار الذين يمثلون أعرق الامم حضارة في القرن العشرين » انظر كتابه « أحاديث عن الادب المغربي الحديث » (القاهرة : ١٩٦٤) ٢٦ — ٢٧.

— ٣ —

صلاح الدين في الاطار العربي ـ الفلسطيني

غير أننا نلاحظ في الشعر الذي قيل بعد الحرب العالمية الاولى أن هنالك تحولا في الاستشهاد بـ « صلاح الدين » من الاطار الاسلامي إلى الاطار العربي — الفلسطيني ، ولكن هذا التحول لم يهمل اهمالا تاماً علاقة البطل بالاسلام ، لاسيما في المرحلة الاولى التي اعقبت انفصال العرب عن الدولة العثمانية. وذلك لان رؤية الشاعر للصراع العربي — الغربي ، ظلت طويلا — ولا تزال — تعكس مزيجاً من النزعة القومية العلمانية والروح الدينية وان كان للاولى النصيب الاوفر. وفي طليعة القصائد التي نلمس فيها نماذج العروبة والاسلام قصيدة الشاعر محمد رضا الشبيبي (١٨٩٠ — ١٩٦٥) « دمشق وبغداد » التي قالها بعد انهيار الحكم العربي الاول في سوريا مقاوماً الاحتلال الفرنسي . ففي هذه القصيدة التي تعالج مأساة عربية معاصرة ، يستعيد الشبيبي الامجاد العربية والاسلامية ، ويتهم العرب بالعقوق ازاء

ما قام به أجدادهم وما خلفوه من اعمال ومآثر باكياً عهد « صلاح الدين » والفاتحين العثمانيين : « محمد ومراد » والحمدانيين وغيرهم (٢٦) :

رزىء الصلاح صلاح دين محمد
والفاتحان (محمد) و (مراد)
الذاهبون مضى لنا بذهابهم
في الله جد دائم وجهاد
خنا ذمام الفاتحين وعهدهم
ما هكذا تستنجب الاولاد
إنّا بما نجني وهم فيما جنوا
بئس البنون ونعمت الاجداد
كانت حفائظ (يعرب) ان صوليت
نارا ونار الآخرين رماد

ويماثل هذا الاتجاه معروف الرصافي (١٨٧٣ — ١٩٤٥) في قصيدته « مظاهر التعصب في عصر المدنية » وقد استنكر فيها ما جاء في خطاب القائد الفرنسي غورو من نغمة صليبية . مستغيثاً بـ « صلاح الدين » ليشهد ما اصاب قومه من مهانة تحت

---

(٢٦) ديوان الشبيبي (القاهرة : ١٩٤٠) ٣٣ — ٣٨ ، يوسف عز الدين : في الأدب العربي الحديث (بغداد : ٦٧ / ١٩٦٨) ص ١٣٣ ، ورفائيل بطى : الأدب العصري في العراق العربي ج ١ (القاهرة ١٩٢٣) ١١٦ — ١١٨ .

الغزو الغربي الجديد (٢٧) .

حنانيك يا قبر ابن ايوب فانصدع
لينهض ثاو في مطاويك مفضال
اليك صلاح الدين نشكو مصيبة
أصيب بها قلب العلى فهو مغتال

وقطبت الايام حتى تشابهت
بها غدوات كالحات وآصال
وأمس حمى الاسلام تنتاب روضه
فترعاه من سرح المعادين آبال

والامثلة على استدعاء صلاح الدين في الاطار العربي كثيرة ، فهذا شاعر المهجر الكبير « القروي » — مثلا — لا يجد غير « صلاح الدين » يشبه به بطولة سلطان الأطرش في هجومه على الفرنسيين عند اندلاع الثورة السورية ١٩٢٥ في الحادثة الشهيرة باسم « التنك » فيقول :

وحسام «سلطان » وهل من سامع
بحسام سلطان ولا يتحمس

---

(٢٧) ديوان الرصافي ط ٦ (القاهرة : ١٩٦٣) ٤٣١ — ٤٣٢ . يرى الاستاذ عبد القادر المغربي في مقدمة الديوان (ص ك) ان الرصافي يستنهض الايوبي ليرى ما فعله (الجنرال اللنبي) في بيت المقدس ، وسياق القصيدة يدل على ان تصريحات « غورو » الاستفزازية كانت هدف الشاعر. لاحظ تصريح غورو في تعليقنا رقم « ٢٥ ».

ملّ القراب إلى الرقـــاب تشوقاً

ملل الصبى عليه طال المحبـس

فنضاه يذكرهم صلاح الدين في

ضرباته لما رآهم قـــد نـسوا

ان تجمـــد الانفاس عنـــد لقائه

فعلى مهنده تسيل الانفـس (٢٨)

واذا أراد الشاعر المهجري الدكتور جورج صوايا ان يفتخر بقيام كيان عربي مستقل في سوريا (١٩٢٠) فانه لا يرى بدا من ان يتصور « صلاح الدين » يبعث من جديد ، في دمشق ، في شخص الملك فيصل :

يا أمّتي جاهري بالحق لا تجمـي

ونازعي الخلق بقيا مجدك الهــرم

هبي إلى الذود عن حق لك اهتضموا

وقابلي ظلمهم بالظلم وانتقمـي

قد قام فينا (صلاح الدين) ويحهم

فليقحم الشام من قد قال لم يقم

ففيصل العرب مستل بساحتهـــا

في حده الحدبين الذل والشمم (٢٩)

---

(٢٨) عزيزة مريدن : القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي (القاهرة ١٩٦٦) ص ٢٩١ ، وأنس داود : التجديد في شعر المهجر (القاهرة : ١٩٦٧) ص ٣٣٧.

(٢٩) مريدن : المصدر المذكور ٢٦٧ — ٢٦٨ ، وأنيس المقدسي : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ط ٣ (بيروت : ١٩٦٣) ص ١٥٤.

غير ان الشاعر المصري أحمد محرم (١٨٧٧ ـ ١٩٤٥) يرسم لاقتران الملك فيصل بصلاح الدين صورة مناقضة ساخرة يوحي فيها بأن فيصلا كان موضع أهانة البطل لوقوفه إلى جانب أعداء الاسلام ، وذلك في قصيدة قالها عند نزول الملك في القاهرة بعد ضياع عرشه (٣٠) :

نزيل النيل كيف تركت ملكاً
ألم ببابك العـــالي نـــزيـــلا !
وأي التاج يرفع في دمشـــــق
فيصدع هامة الجـوزاء طولا
نزلت على «صلاح الدين» ضيفا
فلم ترض المقــام ولا الرحيلا
أحقا كنت رب التـــاج فيها
وكنت الشعب والملك النبيـــلا
دع النعمان أنت أجـــل ملكا
وأمنع جانبــاً وأعـــز غيـــلا

وينهج محمد علي الحوماني (لبنان) . نهج الشعراء القدامى في وقوفهم على الاطلال فيناجي قبر صـــلاح الدين في فترة تعرضت خلالها سوريا لعدوان فرنسي ، متخذا من مناجاته أداة لا لتمجيد البطل فحسب بل لتقديم صورة حزينة عن افتقار

(٣٠) محمد ابراهيم الجيوشي : شاعر العروبة والاسلام : احمد محرم (القاهرة ١٩٦١) ص ١٣٢.

وطنه — وهو في محنة — إلى النماذج البطولية التي تحفظ له كرامته وتعيد اليه مجده (٣١).

ونجد في قصيدة « تحية » (٣٢) التي وجهها ابو الوفا محمود رمزي نظيم إلى الزعيم السوري عبد الرحمن الشهبندر عند زيارته القاهرة أيام العدوا ن المذكور تلهفا إلى صلاح الدين كمنقذ :

في الشام خلفك اخوان انينهمو
صداه في مصر كم شقت له كبد
من خطبهم مصر في وجد وفي الم
ومصر في الشرق يوم الخطب تفتقد
لو عاد عصر صلاح الدين أسعفهم
منها جيوش جهاد ما لها عدد

ولدينا أمثلة أخرى تتردد فيها الاشارة إلى « صلاح الدين » في معرض التغني بامجاد الوطن العربي أو سوريا أو دمشق — حيث يرقد البطل — على وجه التخصيص ، كقول بدر شاكر السياب (١٩٢٦ — ١٩٦٤) في قصيدته الرائعة « بور سعيد » مصوراً بطولتها في وجه الصليبيين الجدد (٣٣) :

---

(٣١) « على قبر صلاح الدين الايوبي » العرفان ١١ (٩٢٥ / ١٩٢٦) — ١٣٩ — ١٤٠.

(٣٢) الرمزيات : (القاهرة : بلا تاريخ) ص ١١٧.

(٣٣) أنشودة المطر (بيروت : ١٩٦٠) ١٩٢ — ١٩٣. ومثل آخر على ذلك قول الشاعر التونسي محمد الشاذلي خزنه دار من قصيدة «التمثيل» : =

من سدد النار في أيديك يوردها
كيد المغيرين منه الظن والنظر ؟
واحتاز في قلبه الاحقاب يزرعها
في جانب منه واستبسالك الثمر ؟
واستنفر الشرق حتى كاد ميته
يسعى ؟أهذا صلاح الدين أم عمر؟

او اشارة الياس قنصل :

اسأل صلاح الدين يوم تجمعت
عصب الى شرب الدماء ظوامي
خبر الفرنجة منه ما العربي في
كرم الخصال وساحة الصمصام(٣٤)

وقول محمود عبد الحي في قصيدته « دمياط بين الماضي والحاضر » مخاطباً مدينته دمياط ، تلك التي زارها صلاح الدين (عام ١١٧٧) بعد عودته الظافرة من الشام :

=هذا لعمري صلاح الدين خالدة — اثاره الغر مذ أولته تبجيلا
وكم تخلد في تاريخنا الذهبي — مما يكفل تاج العرب تكليلا
نحن الذين على منوالهم نسجوا — ما أهلتنا ظروف الحال تأهيلا

أنظر ملحق كتاب : الحركة الأدبية والفكرية في تونس (القاهرة : ١٩٥٦) ص ١٠٧، وديوان الشاعر جـ ٢ تونس ١٣٤٤هـ ص ٤٣.

(٣٤) فريد جحا : العروبة في شعر المهجر (بيروت : ١٩٦٥) ص ٧٤.

الثري الحر الذي مــن فوقــه
هزم الشر ورد المعتـــدي
من ربى (حطين) للنــصر إلى
أرض دمياط سنا لم يخمــد

نحن شعب آمن في أرضـــه
سيد ليس لــه مــن سيــد
نحن علمنا الفــدا مــن قــدم
أدب الحرب ونبــل القــــود
سل(صلاح الدين) عنه أو فسل
عنه(ريكاردوس قلب الاسد)(٣٥)

---

(٣٥) تقويم الشعر السنوي الرابع (القاهرة : المجلس الاعلى لرعاية الفنون ١٩٦٣) ٦٣ — ٦٨ .

ومن الاشارات الحديثة الى صلاح الدين في سياق التغني بمصر ما جاء في قصيدة الدكتور عبد العزيز برهام « الحذاء الصغير » :

كل فرد فيه اذا قامت الهيجاء عند النزال جــم غفير
سل (رعمسيس) سل أخاه (صلاح الدين) كيف الاحكام والتدبير

مهرجان الشعر الخامس (القاهرة : ١٩٦٤) ص ٨٩ وقصيدة عبد العليم القباني « من أيامنا الخالدة » :

عليها صلاح الدين يحمى لواءهـــا	ومن حوله أسد غضاب وانســـــر
ودين اذا ما اسرف الغـــرب ظالمـــا	تسامت به الاخلاق ترعى وتحصر
وشتان بين الغرب ؛ في القدس سيفه	عليه العذارى والطفولات تنحـــر
وبين سماح الشرق يعفو وحولـــه	رقاب العدا لو شاء تجبى وتبتـــر

أنظر مجموعته؛ أشعار قومية (القاهرة ؛ ١٩٦٦) ص ١٤.

أو قول الشاعر محمد محمود زيتون من قصيدته «الاسكندرية» (٣٦).

وأنت أنت على مر العصور – كما
يحكون – حصن تقاليد وعادات
بك استجار (صلاح الدين) فانتصرت
يد أطاحت باحقاد وثارات

وأخيراً ما قاله الشاعر خالد الشواف مشيداً بنضال مصر في سبيل جلاء المحتل:

زحف الغرب على الشرق فلا
تغفلي يا مصر عن سيف (صلاح) (٣٧)

وكان من الطبيعي ومثوى صلاح الدين في دمشق، أن نجد نماذج كثيرة يربط فيها الشاعر بين تمجيده لدمشق واعتزازه بصلاح الدين كما في قول شوقي في قصيدته «نكبة دمشق»:

صلاح الدين تاجك لم يجمل
ولم يوسم بازين منه فرق

أو ما جاء في قصيدة حافظ ابراهيم (١٨٧١ – ١٩٣٢) «تحية الشام» التي أنشدها في الجامعة الامريكية ببيروت (١٩٢٩) (٣٨)، مشيراً إلى «صلاح الدين» كرمز لأمجاد الماضي، وخليل مطران كمفخرة الشام اليوم:

---

(٣٦) «احلام الربيع» (ديوان الشاعر) الاسكندرية؛ ١٩٦٩ – ص ٨٨.
(٣٧) بدوي طبانة «كفاح مصر والعراق في شعر خالد الشواف» الرسالة ٢٢ (٦ آب ١٩٦٤) ص ٩.
(٣٨) «ديوان حافظ ابراهيم» (القاهرة؛ ١٩٥٤) ١/٩٠ – ٩٦.

من رام ان يشهد الفردوس ماثلة
فليغش أحياءكم في شهر نيسان
تاهت بقبر صلاح الدين تربتها
وتاه أحياؤها تيها بمطـــران

أو في قول خليل مردم بك (١٨٩٥ – ١٩٥٩) مـــن قصيدة « دمشق » :

وغدا صلاح الدين دونك باذلا
نفساً يضن بمثلها ليقيك (٣٩)

وقصيدة العقاد (١٨٨٩ – ١٩٦٤) « تشتاق ايار نفوس الورى » (٤٠) التي يمجد فيها دمشق لما جمعته من مفاخر الدنيا والدين أو مما يبدو من نقائض كعلمي البطولة والتصوف صلاح الدين وابن العربي :

دمشق في الأرض على صورة
لا نعـــم الله عـــلى عبـــده
فيها مـــن الرضوان ما يرتضى
لمتعة العيش ومـــــن بعـــده
دنيا ودين ومـــال لذي البـــأ
س ومـــن آل إلى ضـــده

(٣٩) الديوان (دمشق ؛ ؟ ١٩٦٠) ص ٤٥ وسامي الكيالي « الادب والقومية في سورية » (القاهرة ؛ ١٩٦٩) ص ٢٦٥.
(٤٠) المجلس الأعلى لرعاية الفنون مهرجان الشعر الاول « القاهرة ١٩٦٠» ١٣ – ١٥.

لاذ صلاح الدين في مجـــــده

بها ومحي الدين في زهـــــده

وما جاء في بعض قصائد عدنان مردم التي تزدحم بما توحيــه « دمشق » او « بردى » من صور الماضي ، يستلهم منها رؤية متفائلة لا لوية صلاح الدين وهي تخفق بالآمال او لسيفه مشهوراً لتحقيق مكارم جديدة . كقوله من قصيدة « بردى » (٤١) :

وكأن من (أيــوب) ألــويــة

خفــقــت بآمــال تجاذبه

وأرى صلاح الدين عن كثـب

شهرت لمكــرمــة قواضبه

أو قوله ني « دمشق » (٤٢) :

وأرى صلاح الدين في ساحتها

يختال مزهوا أمام القســطل

اعلامه بجناح نسر حلقـــت

وسيوفه شهب تضيء وتعتلي

---

(٤١) المصدر نفسه ٨١ – ٨٣ ، وديوان عدنان مردم بك صفحة ذكرى (القاهرة : ١٩٦١) .

(٤٢) صفحة ذكرى ص ٢٣. وهنالك اشارة اخرى تتخذ من صلاح الدين رمزاً للاواصر بين مصر وسوريا كالتي وردت في القصائد التالية ؛ « تحية » لمحمود رمزي نظيم ؛ الرمزيات (القاهرة : بلا تاريخ) ص ١١٧، و « دمشق » لكامل أمين ؛ المشاعل (القاهرة : ١٩٦٢) « الجمهوريات العربية المتحدة » لعبد العليم القباني : أشمار قومية ص ٨٩ .



— ٤ —

صلاح الدين وفلسطين

واذا ما انتقلنا إلى معالجة الشاعر للقضية العربية الكبرى : فلسطين ، فاننا نلاحظ ان « صلاح الدين » يستحيل إلى «لازمة » شعرية مهمة يصح ان نشبهها بـ « الصيغة **FORMULA** » التي تمثل عنصراً بارزاً في بناء الملحمة اوالفكرة المتكررة : **MOTIF** التي تتسم بها بعض الاعمال والاتجاهات الادبية او الفنية . وقد اتخذت هذه « اللازمة » او الفكرة « الصلاحية » قوالب مختلفة أهمها مناجاته ، والتغني بفضائله ؛ خلقاً ، وبطولة وحكماً ، والوقوف التقليدي على قبر البطل لاستنهاضه ، والدعوة إلى التبرك بتربة المعركة الحاسمة « حطين » ، والبحث عن نظيره العربي المعاصر ، والايمان المتفائل بوجوده ، وخيبة التطلع اليه أو الاحساس أحياناً بعقم البحث عنه .

ونلمس تزايد اهتمام الشاعر بالفكرة او الصيغة ضمن الاطار الفلسطيني منذ مطلع الثلاثينات حين اشتدت مقاومة العرب للاطماع الصهيونية في فلسطين ، وبدأت بعض المحاولات

الجماعية المنظمة للاحتفال بذكرى حطين وصلاح الدين في عدد من المدن الفلسطينية (٤٣) .

وفي مقدمة المحاولات التي تجمع عناصر الصيغة الصلاحية المذكورة ، إلى جانب ما امتازت به من صراحة في مدلولها السياسي العربي ، قصيدة الكاظمي « ذكرى حطين » (٤٤) ، وقد قسمها الشاعر إلى ثلاثة أقسام ؛ يضم القسم الاول منها (١ — ٢٥) تمجيد الشاعر لصلاح الدين تمجيداً يكاد يرفعه إلى مرتبة الانبياء ، ومناجاته له لانقاذ الشرق كما فعل من قبل في مواجهة الغرب .

جعل الحكمة فينا همه
وقصارى الحر فيما جعلا
فإذا ما قصرت آجالنا
مد من ذكراه فينا أجلا
حي فيه هاديا ذا غلة
يبلغ القصد ويروي العللا

---

(٤٣) ذكرى موقعة حطين « الناشر محب الدين الخطيب » القاهرة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م ، ويضم الكتاب نصوص عدد من الخطب والقصائد التي القيت في مناسبة الاحتفال، وكان بين المشاركين ؛ ارسلان ، ومحمد رشيد رضا وخير الدين الزركلي واسعاف النشاشيبي وعبد المحسن الكاظمي .

(٤٤) المصدر المذكور من ٩٩ — ١٠٢ وديوان الكاظمي (القاهرة : ١٩٤٠) ص ٢٩٥ — ٢٩٨ .

حي أخلاقاً اذا ما ذكرت

اذكرتنا الانبياء الرســـــلا

يا مجير الشرق قم وانظر إلى

مدن الشرق وأجواز الفــــلا

أجر الشرق وذدْ عن حوضه

ورد الحوض نميرا سلســـــلا

ويبرز القسم الثاني (٢٦ – ٣٣) واقعة حطين ، كمعركة فاصلة ، وضعت حداً للظلم ، ومهدت لاشاعة العدل على يد البطل ، وفي القسم الأخير (٣٤ – ٥٥) يستنهض الشاعر قومه داعياً أياهم إلى الأخذ بما يكفل لهم العزة والرفعة ، وتطهير أوطانهم من الطامعين والجور . وتوحيد صفوفهم تحت لواء واحد وقائد يجسد ما اتسم به صلاح الدين من سجايا :

أيها العرب تعالوا نلتـــــقي

في طريق المجد حتى نصــــلا

نلتقي تحت لــواء واحــد

سجل النصر له اذ سجلا

ونولي الامر فينــا قــائــداً

يبعث العزم ويحيي الامـــلا

يدفع الظالم عــــن أوطاننــا

ويقيم العــدل او يعتــزلا

ولعل خير من يمثل الوقوف على قبر البطل شاعر فلسطين ابراهيم طوقان « ١٩٠٥ – ١٩٤١ » الذي أعـد قصيدته

« حطين » (٤٥) بمناسبة اعتزام شوقي زيارة فلسطين . مستهدفا اثارة شوقي إلى الاسهام الشعري في معركة العرب ضد الاطماع الغربية في فلسطين .

والشاعر – بعد ان يذكر شوقي بما قاله في نكبة دمشق – يدعوه إلى التأمل في آثار صلاح الدين . واستلهام البطل :

عرج على حطين واخشــــع
يشج قلبــك مــا شجانـــــي
وانظر هنالك هـــــل تــرى
آثار « يوسف » في المكـــــان
أيقظ «صلاح الدين» رب (م)
التاج والســيف اليمـــــانـي
ومثيرها شعـــــواء أيوبية (م)
الخيـــــل الهجـــــــان

ثم يعيد إلى الاذهان ما عرف به جيشه من إقدام،وما أنزله على الغزاة من ضربات حاسمة أدت إلى انتصاره (٤٦) . ليخلص

---

(٤٥) ابراهيم طوقان : ديوان ابراهيم ط ١ (بيروت : ١٩٥٥) ٦٧ – ٧٠

(٤٦) من الأبيات التي تعكس صورة وضيئة لموقف صلاح الدين تقتطف مايلي

في كــل خـطار على الأخطـار صبـار الجنـــان
حلقـات أدرعهـــم قيـود الموت في درك الطـعــان
حطين يومـك ليس ينـكر شاهـديـــه الخافـقـــان
تتطايـر الارواح فيــه مـن السنـان الى السنـــان
حتى انجلى رهـــج الوغى والنصر مرمـوق العنـــان
ومشى صــلاح الدين تحـــت لوائه في مهــرجـــان
وعلا الاذان ورجعت تكـــبيرة شرف الاذان

من ذلك كله إلى صورة معاصرة تتميز بملامح الهوان والتخاذل والتردد تجاه أخطار الصهيونية والاستعمار.

دكت صــروح مــا بــنى
أمثالها في المجـــــد بــــان
جــل المصــاب « أبــا علي »
فابك هاتيــك المغــــانــي
ذهب الــذيــن عهــدتهــم
لا يصبرون عــلى الهـــوان
في مــصر يطمــع أشعــب
وهنا تبــــارى أشعبــــان
وهنــا التخاذل في الشدائد(م)
والتشــاؤم و التــواني
والنفس يقتــــل عزمهــا
طول التعلــــل بالامــانــي

واذا كان « طوقان » قد أشار إلى البون الواسع بين مآثر صلاح الدين ومساوىء الوضع الفلسطيني أو العربي قبل حلول النكبة ، فان الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري لجأ إلى مقارنة مماثلة . بعد حلول مأساة ١٩٤٨ . تاركاً لروح صلاح الدين. لا الشاعر . دور المقارنة :

وروح من صلاح الدين هبت
من الاحداث مقلقـــــة الوساد

تساءل : هل أتت دول ثمــان
ضخام ما أتاه على انفراد ؟
وما أضفى الحديث على قديمٍ
وما ألقى الطريف عــلى تــلاد؟
وما عند « الدهاة » من انتقـام
ومن أخذ بثأر مستقــــاد ؟
وهل ضاقوا وهم كثر ذراعـاً
بداهية نهضت بهـــا دآد
مشيت بطبها عملا فطــابـت
مواقعها ، وساروا باتــئـــاد
بلى كانوا ومن عادوا تبيعـــا
وكنت « المستقل » ومن اعادي
ومعتدا ومـــا تجـــدي الحيـاة
اذا خلت النفوس مـــن اعتداد

وفي هذه القطعة من قصيدة الجواهري « تحية الجيوش العربية ؛ فلسطين » (٤٧) تلميح — كما قال الشاعر نفسه — إلى موقف البطل صلاح الدين في حماية فلسطين من الحروب الصليبية التي شارك فيها آنذاك عدد من الدول الاوربية وتعريض بالحكومات العربية التي لم تستطع — وهي مجتمعة — تحقيق تلك الحماية .

---

(٤٧) ديوان الجواهري جـ ١ (بغداد : ١٩٤٩) ص ٧٤ — ٧٩ .

ومن الأمثلة الأخرى التي تستنهض « صلاح الدين » معربة تارة عن ثقة الشاعر بظهور بطل مثله ، وأخرى موحية بمرارة الانتظار ، قول «القروي» في قصيدته «وعد بلفور»(٤٨)

يدعوك شعبك يا صلاح الدين قم
تأبى المـــروءة أن تنام ويسهروا
نسي الصليبيـــون ما علمتهـــــم
قبل الرحيل فعد إليهم يذكروا

وقول جورج صيدح في «جهاد فلسطين»(٤٩) « عام ١٩٣٨ » :

وأما فلسطين كم غاز قهرت وكم
جيش رددت عن الأسوار منهزم
حتى لطمت بكف لا ســوار لهـــا
شعب بلا وطن ، جند بلا علم
فأين سيف صلاح الدين يردعهم
أما له خلف في العرب كلهم !

---

(٤٨) عبد اللطيف شرارة : الشاعر القروي (بيروت : ١٩٦٠) ١٨٢-١٨٧ .

(٤٩) عزيزة مريدن : المصدر المذكور ٣١٩ - ٣٢٠ وصالح الأشتر : في شعر النكبة (دمشق : ١٩٦٠) ١١٠ .

ويعبر علي الجارم (١٨٨١ - ١٩٤٩) عن ثقة بأن العرب في صراعهم مع المعتدين لابد أن يجدوا أزرا في ميراثهم في فتى حطين كما جاء في قوله (٥٠) :

قلبي وفيض دموعي كلما خطرت
ذكرى فلسطين خفـــاق وهتان
لقد أعاد بها التـــاريخ أندلســـا
أخرىَ وطاف بهـــا للشر طوفان
ميراثنا في فتى حطين أين مضى !
وهـــل نهايتنـــا يتم وحرمان
ردوا تراث أبينا ما لكم صلـــة
به ولا لكم في أمرنا شـــان

وفي قوله من قصيدة « فلسطين » (٥١) :

وأسطر من تواريخ مخلـــــدة
كانت لمجد بني الفصحى عناوينا

---

(٥٠) أحمد محمد الحوفي : القومية العربية في الشعر الحديث (القاهرة بلا تاريخ) ص ٢٩٦ وانظر إشارة سميرة أبو غزالة : الشعر العربي القومي في مصر والشام بين الحربين العالميتين الأولى والثانية (القاهرة : بلا تاريخ) ٧٨ - ٧٩ .

(٥١) على الجارم . « ديوان الجارم » ط ٤ (القاهرة : ١٩٤٧) ١٨١-١٨٢ وسبحات الخيال (القاهرة : ١٩٦١) ١٢-٢٤ وأنظر السوافيري ص ٤٩٥ .

فقبلوا ترب « حطين » فان به
دم البطولة من أيام حطينـــا
أرض بذلنا بها الأرواح غاليـة
داعين لله فيهـــا أو ملبينـا

وحينما يستعرض شفيق جبري « بطولات العرب » (٥٢)، لا يجد مفراً من استنهاض صلاح الدين ليرد عن الأرض التي حماها بالأمس ما يراد بها اليوم من سوء :

تلك البطولات كالأهرام راسخة
فأين ما طمسوا منها وما هدمــوا
أنهض ورتل صلاح الدين آيتهـا
الاذن مصغيـة والعين تلتهم
جاؤوا إليك بجيش يعصمون به
قبر المسيح فما صانوا ولا عصموا
لو كان همهم قبر المسيح لمـا
تهودت منهم ذريـة ظلمــوا
أيمنحون بني صهيـــون تربته
ويزعمون التقى ، هيهات مازعموا
محوتهم وبطون الأرض تكتمهم
في كل رابية عظم لهم ودم

---

(٥٢) مهرجان الشعر الأول (القاهرة : ١٩٦٠) ١٧-٢١ .

حطين قد غذيت منهم منابتهـا
فاخضوضر الشيح والقيصوم والسلم

وفي مناجاة عدنان مردم بلك لـ « بيت المقدس » تطلع حزين إلى حطين وفارسها ، يشارك الشاعر فيه المدينة الجريح :

أكنت غفوت للتذكـار ملـوية باعناق
وهل أشجاك من (حطين) رجع صدى لابواق
وهل شاقتك ألوية بهـا نصّـت لعمـلاق
دم مـا زال وابله عـلى دمـن وآفـاق
أراك وجمـت كالمشدوه شاخصة باحداق
أكـان شجاك مبعثه حزازات بأعمـاق
وهل شفك ان أضحـت رباك حمى لفسـاق
أسيت لمربـع عبثت بـه شذاذ آفـاق
وليس به فتى يحمى الذمـار وليس من واق

ويختم الشاعر قصيدته ، والظلمة تحيط به ، بتساؤل متفائل يبحث فيه بلهجة خالية من الأسلوب الخطابي ، عن سنى يشع من حطين :

وقفت أسائل الظلماء عنك بدفـع أشواقي
أمن (حطين) نور سنا يشع لعين مشتـاق
فأومأ غابر ، وأهل تاريـخ باشراق (٥٣)

---

(٥٣) صفحة ذكرى ٤١ — ٤٣ .

يقف خالد الشواف موقفاً مماثلاً عند زيارته للقدس عام ١٩٤٥ (٥٤)، وهو يرى ، أنّى تلفت ، معالم مشرقــة من تراث المدينة :

هنا وطئــت قدما أحمــــد
وجبريل أكرم مــن يصحب
تحن لمعراجــه مكــــــة
وتهفــو لمهبطــــــه يثرب
هنا جال بين الصفوف (صلاح) كما انتفض الاسد المُغْضب

أما الشيخ عبد الغني الخضري (٥٥)، من العراق ، فانه

---

(٥٤) بدوي طبانة : (نظرات في الشعر العراقي المعاصر) الرسالة ٢٢ (١٠٧٠ / ٢٣ يوليو ١٩٦٤) ص ٨ – ٩.

(٥٥) ديوان عبد الغني الخضري (النجف : ١٩٥٢) ص ١١ وانظر محمد حسين الصغير : فلسطين في الشعر النجفي المعاصر (١٩٢٨ – ١٩٦٨) (بيروت ١٩٦٨) ص ١٤٠، حيث ورد البيت الخاص بصلاح الدين على الوجه التالي :

مذهب فيها صلاح الدين منبعثا كأنه النار لما لا قت القصبا

ونجد في قصيدة كمال النجمي « فلسطين ونكبة اللاجئين » مثلا آخر للتطلع الى صلاح الدين يقود جيشه – كما فعل من قبل – الى النصر :

يا يوم حطين عــد للشرق ثــانيـــة واخلع على العرب من اثوابك القشب
اعد الينا صلاح الدين في أجـــــم من القنا وخميس زاخــر لجـــب

الا نداء المحترقة (القاهرة : ؟ ١٩٧٤) ٢٠ – ٢١.

في وقوفه على « حطين » يهتدي بحكمة أبي تمام « السيف أصدق أنباء من الكتب » ويدعو قومه إلى الالتزام بها والكف عن خداع النفس بسلاح الكلمة العاجز :

فالحق للسيف والاقلام عاجزة
فخلى نظم القوافي وأترك الخطبا
لم نقض بالخطب الغرا مآربنا
وكم قضينا بعضب صارم أربا
فاستوحى حطين عن أسيافنا فلقد
نسفن في حدها الاطواد والهضبا
سطا عليها صلاح الدين ليث وغى
أو انه النار لما لاقت القصبا
يسل في غسق الهيجا صوارمه
فيحسب الخصم من انصاره الشهبا

ان الامثلة التي ذكرناها تدل بوضوح على ان الشاعر في تلميحه إلى (صلاح الدين) يستهدف ، قبل كل شيء، تذكير قومه بصفحة بطولة مشرقة من ماضيهم ،والدعوة إلى تجديدها في معركة اليوم ، غير أنه لا يقف عند هذا الحد بل يضفى على تلميحه طابعاً تهديدياً يقصد به الاعداء ، أي ان « الفكرة الصلاحية » تؤدي وظيفة ذات جانبين :

استثارة الهمم ،وتهديدالعدو بما آلت اليه حملات عدوانية سابقة.

ويصوغ الشاعر هذا التهديد بلغة مؤمنة ، تغلب عليها مسحة الخطابة ، ولا تخلو من اسراف في التفاؤل ، أو تهويل لما يهبه الواقع من عوامل الانتصار ، كقول الشاعر السعودي محمد حسن عواد (٥٦) .

سنعيد لليرموك يوماً ثانياً
في قلب تل أبيب عودة موغل
أو يوم « حطين » يضم عناصراً
شتى ويبرز ميزة المستبسـل

أو قول أبي سلمى في قصيدة « أحرفنا الحمر » (٥٧) :

ان جيش التحرير جيش فلسطين تنادت فرسانه والنسور
وجناحاه في الشام جناح وعلى غزة الجناح الأثير
جيش حطين جيشنا يزحف اليوم فقد آن أن توفى النذور

أو ما جاء في قصيدة خالد الشواف « الوتر والثأر » (٥٨) التي قالها بعد صدور قرار التقسيم :

كلما جال عليها بطـل
هتفت أن صلاحا قد أعيدا

---

(٥٦) السوافيري : الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ص ٥٣٣.
(٥٧) المعرفة : دمشق ٥ (٥٧ /تشرين الثاني – ١٩٦٦) ٧٤ – ٧٧ ومهرجان الشعر السابع (القاهرة : ١٩٦٧) ٣٤ – ٣٦.
(٥٨) طبانة : المصدر المذكور ص ١٠.

فارتقب يا موطن المجد غـــدا

لترى خلف الدجى الصبح الوليدا

وترى « حطين » في أمجادهـــا

عرس النصر الذي عاد جديدا

وإيمان الشاعر بأن « صلاح » يبعث حياً او ان نداءه يُلبّى في أرجاء الوطن العربي يتكرر في أمثلة واكبت الأحداث التي سبقت أو تبعت خلق اسرائيل بفترة قصيرة كما يبدو ذلك واضحا في النماذج التالية :

يفديك كل فتى في قلبه قـــبـــس

من نور مجدك تياه على الشهب

لبّى نداء صلاح الـــديــن زارتـــه

في القدس يسمعها الصمان في حلب

(الياس فرحات يخاطب فلسطين) (٥٩) :

صحت العروبة من عميق سباتهـــا

وتحفزت تحت البنود شبول

جمعتهم الجلى ووحـــد صفهـــم

ثأر يزمجر في الصـــدور جليل

(٥٩) مريدن : القومية والانسانية في شعر المهجر الجنوبي ص ٣١٩ .

يزهو صلاح الدين في ابرادهم

ويجول في اسيافهم ويصول

« زكي قنصل في قصيدة « خرافة السلام » (٦٠) :

أروت فلسطين من تاريخها ديم

بل أدمع من عيون الوحي تنهمر

دم الشهادة في آفاقها شفـــق

يعنو له الفجر والامساء والبكر

أمد منه صلاح الدين شعلتهـــا

فزانت الدهر من أضوائها غرر

ما حقها هجعة الوانين تؤيسها

بل حقها الأمل الوثاب والسهر

« محمد الشريفي : فلسطين والوحدة العربية » (٦١) :

ولاول مرة

أحسست بصوت (صلاح الدين الأيوبي) .

في صوتك

في كلماتك ذات الأزهار

---

(٦٠) حسن جاد حسن : الادب العربي في المهجر (القاهرة : ١٩٦٢) ص ٣٦٣ .

(٦١) السوافيري – ص ٢٥٧.

كنجوم شقراء
تتساقط في أيدي « مئة المليون مواطن » .
فتقبلها أعيننا ، أودية النور .
وتعانقها أضلعنا ، أبواب الروح .
في خطوك حمحمة خيول « صلاح الدين » .

(علي صدقي عبد القادر : « العروبة العظمى » (٦٢)

ولا يفقد الشاعر هذه الثقة عندما يشهد ما يحل بشعبه من نكبات . بل تزداد لغته اصراراً ، ويأبى الا ان يرى صورة « فلسطين » يعود اليها العرب ظافرين ، ويبدأ منها تاريخهم الجديد ، كما يتجلى ذلك في قصيدة الشاعر كاظم جواد « في ظهيرة الفجر » التي أهداها إلى « جيش عدنان المالكي يوم طبريا ويوم فتك الجيش الصهيوني الوحشي بعشرات الابرياء العزل » (٦٣)

ورفاقنا الموتى ، وأغنية الجنود الصامديـــــــن
تطفو على مـــاء البحيرة حيث أجنحـــــة الطيـــوب
ليلا على الموج الشذى تشـــع رؤيا ميسلـــــون
« سنعـــــود يـــا حطين » حيث ترن ملحمة الزمان
ويجلجل التاريخ « مـــن حطين أزحف من جديد »
لا بـــد يا ليـــل الاباطيل الكسيحـــــة ان نعـــود

---

(٦٢) علي صدقي عبد القادر : صرخة (بيروت : ١٩٦٥) ١٦٦.
(٦٣) كاظم جواد : الآداب ٤ (١٩٥٦) ١٣٥ ، من أغاني الحرية (بيروت ١٩٦٠) ١٧٥ - ١٧٩.

« سنعود يـــا حطين » حيث ترن أغنيـــــة الزمـــان
ويردد التاريخ « مـــن حطـــين أبدأ مـــن جديـــد »

أو قول الشاعر المهجري موسى الحداد يضع أمام المرأة العربية بعض صور الماضي ليحثها على مواصلة الكفاح بالرغم مما حل بقومها من تشريد وما تلمسه لدى الحكام من تخاذل :

يا ابنة المجد والعروبة هبّي واذكري خيبراً وأسد الملاحم
واذكري القدس يوم صلاح الدين فيها فل الجيوش الخضارم
سرحي الطرف وأنظري في البوادي تجدي اللاجئين شبه السوائم
وبنو امهم عن الثأر لاهون سدى باجتماعهم في العواصم (٦٤)

ويلجأ توفيق زياد ، أحد شعراء المقاومة في الارض المحتلة ، إلى « صخرة حطين » كرمز من رموز الصمود في قصيدته « السكر المر » (٦٥) التي يناجي فيها فلسطين :

أنا ابنك خلفتني ها هنا المأساة .
عنقا تحت سكين .
أعيش على حفيف الشوق .
في غابات زيتوني .

---

(٦٤) جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية (بيروت ١٩٦٤) ص ١٥٣.
من الامثلة الاخرى التي تلمح الى صلاح الدين في تعبيرها عن الاحساس بالخيبة ما جاء في قصيدة يوسف الخطيب « او رضيت خلاء النفس » واحة الجحيم (بيروت : ١٩٦٤) ١٠٣ — ١٠٤ ، وقصيدة نزار قباني شعراء الارض المحتلة(بيروت:١٩٦٨)ص١٦.
(٦٥) توفيق زياد : أشد على أيديكم (بيروت : بلا تاريخ) ٢٣ — ٢٤ .

وأدمى وجه مغتصبي .
بشعر كالسكاكين .
وان كسر الردى ظهري .
وضعت مكانه صوانة .
من صخر حطين .

كما يعرب الشاعر اللاجيء هارون رشيد عن إيمانه بالنصر المرتقب :

يا فلسطين أراهـــا وثبـــة
في غد ترعد بالكـــون انتشاء
وصلاح الديـــن في فيلـــقه
يرجم البغي انتفاضاً وارتـــواء
وأرى حطين مـــن فرحتهـــا
زحفت تلقـــاه حباً ووفـــاء

ويبلغ ببعضهم التفاؤل حد الاسراف حين يرى في بعض خطوات التقارب العربي زحوف (صلاح الدين) توشك ان تسترجع فلسطين وتضع نهاية لتشرد اللاجئين كما فعل الشاعر ناجي القشطيني في قصيدته « تحقق الحلم » (٦٦) .

تحقق الحلم : فافتح طرفك الساجي
عادت فلسطين عاد التائه اللاجي

---

(٦٦) مهرجان الشعر السادس (القاهرة : ١٩٦٥) ٨١ – ٨٨ .

وتمت الوحدة الكبرى وتـــم لهـــا
من بعد جهد جهيد : خير منهـــاج
أنظر زحوف « صلاح الدين » هادرة
كالبحر تضرب : اثباجـــاً بأثباج

غير ان هذه اللغة المتفائلة لا تسلم من مرارة الاحساس بخيبة التطلع لمن يقوم مقـــام صلاح الدين ، وهذا اللون مـــن الاحساس يتخذ صوراً مختلفة اولاها البحث عن خلف له ، في صيغة تساؤل ، قد يقصد به الحث وأثارة الهمم ، أو الاستنكار كتساؤل جورج صيدح :

فأين سيف صلاح الدين يردعهـــم
أما له خلف في العرب كلهـــــم ؟

أو الايحاء بالانتظار المأساوي الطويل للمنقذ كما ورد في قول البياتي (٦٧) .

رأيت مجد فقراء الأرض في الفيتنام .
وفي خيام اللاجئين : سيد الآلام .
منتظراً خيل صلاح الدين .
وصيحة الفرسان في حطين .

---

(٦٧) عبد الوهاب البياتي الموت في الحياة (بيروت ١٩٦٨) ١١٦ .



— ٥ —

حزيران ١٩٦٧ : صلاح الدين بين لهب الخيبة والوهج المتجدد

غير ان صور الاحساس بالخيبة تزداد قسوة في إيحاءاتها بعد ان تحل مأساة حزيران ١٩٦٧ ، المأساة التي كانت في أبعادها غير متوقعة ، أو خارج دائرة الرؤية الشاعرية ، فنلمس سخرية لاذعة بالتظاهر او بالتمثيل البطولي باسم انقاذ فلسطين كما يستشف في قصيدة محمود درويش «أنا آت إلى ظل عينيك»(٦٨)

كذبوا ! لم يكن جرحنا غير منبر .
الذى باعه . . باع حطين . . باع السيوف ليبني منبر
نحو مجد الكراسي
أنا آت إلى ظل عينيك آت
من غبار الاكاذيب آت
من قصور الأساطير آت

---

(٦٨) محمود درويش حبيبتي تنهض من نومها (بيروت : ١٩٦٩) ٥٧ –٥٨

أو قصيدة صلاح عبد الصبور « فصول منتزعة » (٦٩) التي تستخدم صلاح الدين او حطين في بعض أبياتها في معرض المقارنة بين ماض تميز ببطولته الحقة الفاعلة وحاضر يغرق في دعاوى البطولة الوهمية ، ويغلب عليه الدجل والكلام « واللعب بالاسياف المغلولة » :

أترك لكم أن تحصوا عدد القتلى
في وقعة حطين
أترك لكم ان تحصوا طعنات الرمح
في صدر السيف المسلول
(يلعنكم هذا النائم في ظاهر حمص)
أو في ظهر صلاح الدين
يلعنكم هذا النائم — رغم ارادته — في أفواه الكذابين
أترك لكم يا سادتي القوالين
ان تستمنوا في نومكم الآسن
حين تدور برأسكم الخمر السيئة المبذولة
باللعب بأسيافكم المغلولة
حتى تغمدها أحلام الصحو المملولة
(منا ... لا منكم) .
في أعناق الفرسان الموهومين المهزومين

---

(٦٩) من مجموعته شجر الليل (بيروت ١٩٧٢) ٥٣ — ٥٤ .

ولعلنا لا نعدو الصواب ان اعتبرنا قصيدة هارون رشيد « أغنية صليبية » (سفينة الغضب ١٣٥ – ١٤٣) من المحاولات الناجحة في استعمال « الفكرة الصلاحية » إطارا يُجسّد الاحساس العربي بالخيبة في حزيران ١٩٦٧ ، ومما أسهم في نجاح الشاعر اعتماده على تخيل ما يمكن ان يدور في مخيلة الصليبيين الجدد من مشاعر الانتصار والزهو ، وقد عادوا إلى اغتصاب الأرض التي تضم قبر من حماها بالأمس ، من غير ان يجدوا ما يدخل في قلوبهم الرعب او يردعهم سوى اسم البطل صلاح الدين الدين وذكراه . ولا شك في ان هذا الاسلوب الايحائي غير المباشر أكثر نجاحا وفاعلية من اللهجة الخطابية الصارخة في تصوير وقع الهزيمة ، ونقل مشاعر الاسى او النقمة على من قاد العرب إلى محنتهم الحاضرة .

لقد عدنا
صلاح الدين
قد عدنا
وجددنا
ليالي الغزو
جددنا
صلاح الدين
لو تسمع
خطانا
انها تقرع

ضريحك
حيثما تهجـع
لـــتروي
حقدهـا
تشبع
فأنت واسمك
الأروع
يظل أمامها
يلمـــع
فيخضع كبرها
يركع
صلاح الدين
قـــد عـــدنا
صلاح الدين
لو تسمع

وبعد هذه الفاتحة ، يكرر صوت الغزاة زهوهم بالعودة ، وتساؤلهم عن صلاح الدين ، ويشير إلى سرعة احتلالهم اراضي موطنه ، بكتائب لا تصد وأمنيات لا تخيب ، ويوحي بما يضمرونه من حقد على قومه ، وما يتبعونه من أساليب شريرة في سبيل تحقيق مأربهم .

صلاح الدين
جئنا مصر

جئنا الشام
بأسرع من خطى الايام
ندق
فتفتح الابواب
لنا
وتصفق الاعتاب
ويهدر جيشنا الغلاب
برايات الصليبين
تسأل عن صلاح الدين
وتبحث عنه في حطين
عساه يزلزل الاغراب
بصوت هادر صخاب
يذكرهم بما قد كان
وأنت هنا
صلاح الدين
سجين القبر والجدران
صلاح الدين يا انسان
ويا من كرم الانسان
لقد عدنا
كما كنا
نمزق راية الايمان
ونرفع راية الطغيان

صلاح الدين قد عدنا
نقض مضاجع الموتى .

ويختار الشاعر خاتمة لقصيدته سطوراً تفصح عن خوف الاعداء من اسم البطل ، ولعله تعمد ذلك ليوحي بأنّ العدو ، بالرغم من انتصاره ، ما زال يخشى ان يلقى بطولة كبطولة صلاح الدين ، وان للعرب ان يقرروا ما اذا كان لهذا الخوف اي مبرر .

وسرنا في فجاج الصمت
يرعبنا ويشقينا
يذكرنا فيرهبنا
يلقى روعه فينا
نخاف اسمك
أنى كان
مكتوبا ومدفونا
نخافك يا صلاح الدين
خوفاً راسخاً فينا

أما الصورة الثالثة للاحساس بالخيبة ، فتحمل ثورة الشاعر على تحكم الماضي في سلوك قومه ، ورفضه للرؤية الخلفية كالتغني بأمجاد الأمس وفي مقدمتها صلاح الدين ، كما تنطوي على ذلك قصيدة سميح القاسم « الميلاد » (٧٠) :

---

(٧٠) سميح القاسم دمي على كفي (بيروت : ب . ت .) ٩٢ – ٩٥.

أبي . . لاكتبنا الملقاة تحت نعال هولاكو .
ولافردوسنا المردود فردوسا إلى اهله .
ولا خيل الصليبيين
ولا ذكرى صلاح الدين
ولا جندينا المجهول في حطين .
تشد خطاي للانقاض ، للمنفى
إلى ان يقول :
فلا تغضب
ولا تعتب
إذا أغلقت أبوابي بوجه الامس
إذا ابدلت أثوابي ، وغادرت الرحاب الدمس
وان ودعت أزهاري
وان قبلت نصب الرمس
لآخر مرة في العمر نصب الرمس

أو كما يمكن ان يلاحظ من قصيدة سعدي يوسف « تأملات عند أسوار عكا » (٧١) التي قالها بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، حيث يلجأ إلى اطلاق اسم صلاح الدين على من يريد التخلص من التسميات المقترنة بمأساته :

أو من أن النار قد تحرق العار الذي في وقد تخبو
أو من ان البغض

---

(٧١) الآداب ١٥ (٩ / ايلول ١٩٦٧) ص ١٧ .

أعظم ما يمنحه الحب
كرهت سيفي وذراعي على أسوار عكا
وكرهت الجميع
غمست حتى مقلتي في النجيع
أحرقت اسمائي وها أنني
أدعى صلاح الدين. . . أدعى الجميع

ويلجأ الشاعر السوري عدنان مردم إلى تذكير العرب بمصير الاندلس المرعب في قصيدته « أندلس الشرق » حيث يخشى تجدد عـــار المأساة ، ويعيد التساؤل الذي تردد صـــداه أكثر من نصف قرن : هل من صلاح الدين ؟

الحرب بذل خالص وعقيـــدة
لا يُمترى في صدقها او تُجْحـــد
عرف العدو طريقـــه فتوحـــدت
غاياته فيمـــا يروم ويقصـــد
وتفرقت أهواؤنـــــا وتشعبـــت
آراؤنا بدداً وحـــــار المـــرشـــد
مأساة أندلس تجـــدد عـــارهـــا
ومن البلية عـــارهـــا المتجـــدد
هل من صلاح الدين يبعثها لظـــى
ليرد ما سلب المغير الاسود (٧٢)

---

(٧٢) عبير من دمشق ص ١٩٤.

ولكن لهب الخيبة الذي يتلظى به الشاعر يستحيل وهجاً يشيع الثقة والتفاؤل بالغد ، ويعين الشاعر على رؤية ما يحمله الغيب من خلاص فيردد مرة أخرى صورة الانتظار لصلاح الدين ، والتطلع إلى حطين جديدة مؤمناً بأن ما مس قومه من وحشية العدوان الاخير وآثاره ما هو الا ثمن البعث ، كما توحي بذلك قصيدة شاذل طاقة « لا تقولي انتهينا » (٧٣) .

وليصدح صوت بلال مرثيه
للطفل العربي المذبوح
ولترقص كل الاجراس
فوق الاشلاء العربية
أختي التوأم بين الحراس
تبكي في عينيه
تصرخ . فليأت صلاح الدين مع الطوفـــان
وليغسل أقذار العصر الذهبي
ولتنج يهود
ولتهدم ، وليقتل هذا الجيل العربي
على الجيل الآتي
يأتينا بنبوءات أبي
وسنغسل يا حيفا قدميك
في ماء البحر المنسكب

---

(٧٣) مهرجان الشعر التاسع (القاهرة : ١٩٧٠) ١٣٧ – ١٤١.

من جرح العذراء
فليأت صلاح الدين
ولتقرع طبول العرب
ولنبعث يا حطين

ويكرر الشاعر هارون رشيد التحدي العربي للهزيمة بصورة أخرى حين يعبر عن اصرار الفلسطيني على رفض كل تساوم أو حل يراد به محو كيانه ، واذابة شخصيته ، مصغياً أبداً — برغم أصداء الطواحين التي تلاحقه بالمساومات — إلى صوت صلاح الدين ، في أعماق أعماقه ، يستمد منه ما يشد ازره في معركة التحرير :

فلسطيني وفي اذني
أصداء الطواحين
سنينا وهي تلعني
وتشتمني . . وتغويني
تساومني على حل
وتدعوني لتوطين
وباسمي دائما تهدر
في كل الميادين
ولكني فلسطيني
أنا عرقي وتكويني
صلاح الدين

في أعماق أعماقي . . يناديني
وكل عروبتي للثأر
للتحرير تدعوني
وراياتي التي طويت
على ربوات حطين (٧٤)

ومن الوسائل التي يستخدمها الشاعر لتبرير هذه الرؤية المتفائلة ، أو امداد من أصابه الشك او اليأس بما يعينه على استرداد ايمانه ، التذكير بما عانته فلسطين من قبل على أيدي الغزاة في عهد الصليبيين والكفاح الصابر الطويل الذي خاضه العرب فأدى إلى نصرهم بقيادة صلاح الدين ، والالماح إلى ان غرور الانتصار الذي أخذ به المعتدون اليوم — كغرور أسلافهم — لا محالة إلى زوال ، كما فعل هلال ناجي في قصيدته : « يا اخوتي وذرى حطين ترقبكم » (٧٥) حيث قال :

دانت فلسطين من غزو يبالغه
لجحفل ضاق عنه البحر إذ مخروا
تحالفت دول كبرى وغررها
ان الذي صاننا أودت به الغير

---

(٧٤) سفينة الغضب ١١ — ١٢ ومهرجان الشعر الثامن (القاهرة ١٩٦٩) ص ١٨٨.

(٧٥) مهرجان الشعر التاسع (القاهرة : ١٩٧٠) ٣٣٦ — ٣٤٠ .

وجاء منا (صلاح الدين) فارتعدت

فرائص الغدر واسودت به النــذر

يردى به الموت لا ترس ولا خفـر

كالسيف منجرداً في حده الظــفر

وكان من بعد تسعين تحررهـــــا

فقل لمن زرعوا الأمجاد او شـــبروا

ثأر الشعوب قرون والحروب بهـا

كر وفر فلا يعروكم الحـــــدر

ومن وسائله الاخرى التساؤل عن مصير الفاتحين بالامس القريب أمثال غورو قائد الجيش الفرنسي الذي احتل الشام في الحرب الاولى ووقف وقفته المشهورة على قبر صلاح الدين أو القائد الانكليزي اللنبي ودخوله القدس منتصراً في الحرب ذاتها ليؤكد الشاعر حتمية انتهاء الغزو الاخير إلى المصير ذاته كما نرى ذلك في قصيدة محمـــد بهجة الاثري « حرب حزيران ١٩٦٧ » (٧٦) :

وأين في الشام غورو في جحافلـــه

يغير وهو يدك السلم تذليـــــلا ؟

بل أين في القدس اللنبي وقد رعبت

رعوده جنبات القدس توهيــلا ؟

---

(٧٦) ملاحم وأزهار (القاهرة : ١٩٧٤) .

— ٦ —

صلاح الدين والبطل العربي المعاصر

ومن جوانب الصيغة او الفكرة الصلاحية في شعرنا الحديث تشبيه صور بطولية معاصرة بصلاح الدين ، سواء كانت متصلة بمن يملك زمام الحكم في بلد عربي أو بأشخاص معينين أصبحت بطولتهم مضرب المثل ، أو ببطولة جماهيرية عامـــة من غير تحديد . ومن الامثلة على اقتران صلاح الدين بالبطولة العامة قول الشاعر زكي قنصل الذي أشرنا اليه سابقاً :

صحت العروبة من عميق سباتهـــا
وتحفزت تحت البنـــود شبـــول
يزهو صلاح الدين في أبرادهـــم
ويجـــول في أسيافهـــم ويصـــول

ويماثل هذا بروئية صلاح الدين مجسداً في كل جندي يدافع عن حق العرب في فلسطين ، ما جاء في قصيدة الشاعر هارون رشيد « انه المصير » التي توءكد على ان الجنود لم يهزموا في حرب ١٩٦٧ (سفينة الغضب) (٢٣ — ٢٤) :

قد كان كل واحد
منهم صلاح الدين
احبة اخوة
اصراره وروحه
وعزمه المكين
وكل ما في صدره
من ثأره الدفين
تاريخه أمجاده
خطاه في حطين

وهنالك نماذج اخرى عرضناها لهذا الاقتران غير المحدد شخص ، كما وردت في قصائد الشعراء : خالد الشواف وبدر بشاكر السياب ، وعلي صدقي عبد القادر . وقد لاحظنا كيف ان الشاعر القروي يربط بين بطـــل عربي معاصر كسلطان الاطرش ، وصلاح الدين . أما الأمثلة التي تتصل بالحكام العرب فانها تخص الرئيس عبد الناصر باوفر نصيب (٧٧) ، سواء كان ذلك في سياق عربي ، أم مصري ، أم فلسطيني ، منها اشارة عامر محمد بحيري في « جيش العروبة » — قالها في ذكرى اتحاد الجيش العربي (١٩٥٩) (٧٨) :

(٧٧) من امثلة التشبيه التي تتناول غير الرئيس عبد الناصر ما قاله الشاعر المهجري جورج صوايا عند قيام الحكم العربي الفيصلي في سوريا .
(٧٨) بحيري : تحت لواء العروبة (القاهرة : ١٩٦٠) ١٠٠ — ١٠١ .

يا دمشق العلي ، وقاهر البأس ، كلا البلدتين أم الحواضر
جددت عهد خالد وصلاح الدين ، روح الفداء في عهد ناصر

وقول عبد الكريم الدجيلي في قصيدته « الامة العربية » التي قيلت في حفلة تكريم بنت الشاطىء في بغداد عام ١٩٥٨ :

يا جمالا فتن العـــرب بـــــــه
ودليلا في الدياجي لا يضاهى
وسليـــل المـــشرفيــــات التي
من صلاح الدين مشحو ذاشباها (٧٩)

وقريب من ذلك تلميح الشاعر أنور العطار في قصيدته « فلسطين » التي ألقاها في مهرجان الشعر الثاني بدمشق عـــام ١٩٦٠ : (٨٠)

يرف على (حطين) فجر جهادنـــا
كأن صلاح الدين منا على قـــرب
أليس جمال العرب عدل صلاحنـا
وقد شاد ما قاد شاد في الشرق والغرب

وينتهز خالد الشواف العدوان الثلاثي (١٩٥٦) ليمجد مآثر الرئيس عبد الناصر في خدمة القضايا العربية ، وما قام به من دور في ردع المعتدين على مصر ، ويوحي اليه بأن فلسطين

---

(٧٩) محمد حسن الصغير : فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ٢٧٦
(٨٠) مهرجان الشعر الثاني (القاهرة : ١٩٦١) ص ٥٣.

تنتظر على يديه ردعاً مماثلا فتنال الخلاص كما نالته من قبل على يد صلاح الدين :

يــا جمــالا نسخ القبــح الــذي
أولد النكبــة مولوداً سفــاحــاً
خالــداً كنــت بمــصر فلتكــن
يوم‌تدعوك فلسطين (صلاحا)(٨١)

وتتكرر هذه الرابطة الثلاثية : فلسطين وصلاح الدين وعبد الناصر في نماذج شعرية اخرى كقول الشاعر محمد غريب من قصيدته « الناصر صلاح الدين : »

باسم الصليب تثعلبوا فتجمهــروا
من كل حدب مشرق أو مغــرب
لكنه منهــم بــــراء انمـــــا
جاوًا إبتغـــــاء تملــك وتعصب
فخرجت (يوسف)والتقيت بجمعهم
فدحرتهم لله ليـــــس لمنصـــــب
لم أفتقـــدك فـــانـــت حي بيننـــا
في شخص عبد الناصر المتــوثــب
القدس في شوق الــيك فلبهـــا
فالعار يرتع في ثراها الطيب(٨٢)

---

(٨١) بدوي طبانه : « كفاح مصر والعراق في شعر خالد الشــواف » « الرسالة » ٢٢ (١٠٧٣ / ٦ اغسطس ١٩٦٤) ٨٠

(٨٢) مهرجان‌الشعر الرابع « القاهرة : ١٩٦٣ » ٦٤ .

وما جاء في قصيدة (فلسطين) لمحمد مصطفى الماحي :

أرى في الافق أنّى سرت نـــارا
تضيء فنهتـدي دنيـا ودينـا
صلاح الدين أوقدهـا وهـــذا
(جمال) شنها حرباً زبونا (٨٣)

أو قصيدة الشاعر نفسه « زيارة الرئيس لمدينة دميـاط » (١٩٦٠) :

دمياط تيهي بالـفتى المقـــدام
بطل العروبة نـاصـر الاسـلام
واستبشري خيراً بمقدمـه فـفي
لمحاته قبـس مـن الالهـام
هذا صلاح الدين عاد مكافحـاً
عن مصر في غزواته والشـام
هذا صلاح الديـن والدنيـا معـاً
ومحطم الاغـلال والاصنام (٨٤)

وأغلب الظن ان الشاعر يسترجع هنا ذكرى زيارة صلاح الدين التاريخية لدمياط عام ١١٧٧ متفقداً اسطوله فيها بعـد عودته من الشام.

---

(٨٣) محمد مصطفى الماحي : ديوان الماحي (القاهرة : ١٩٦٨) ٣٧ .
(٨٤) المصدر نفسه ص ٦٥ .

ونجد في شعر هارون رشيد نماذج كثيرة تجعل من الرئيس عبد الناصر القائد الذي يقود العرب إلى تحرير فلسطين ، ويرد في بعضها اسمه مقترناً بالتلميح إلى حطين بوجه خاص كقول الشاعر :

ان حطــين غــداً موعــدنـا
مــوعــد للثـأر رعــاف الــدم
وجمال رافــع رايتنــــا
في روابي القدس حول الحرم(٨٥)

أو قوله من قصيدة « قسم » :

سيكون في حطين موعدنا على قمم النضــال
جيش كبير واحد ، يجتث مـا صنـع الضلال
خفــاقــة رأيــاته يزهو بقائــده جمال

ولقد بلغ التأكيد على هذه العلاقة بين صلاح الدين والرئيس عبد الناصر حداً دفع صاحب مجموعة المشاعل - كامل أمين - إلى نحت تسمية تعبر عنها : «جمال الدين الايوبي » واستعمالها عنواناً لقصيدة تشيد بأوجه الشبه :

رجعت (صلاح الدين)من بعدغيبة
بروح (جمال) مثلما يرجع الفجر

---

(٨٥) هارون رشيد : مع الغرباء (بلا مكان ، بلا تاريخ ؟ ١٩٦٢) ص ٩٥.

طوى جسمه في الشام قبر وروحـه

بجسم (جمال) عش لم يطوه القبر

ولم تستطع انتكاسة العرب في حرب حزيران ان تهز إيمان الشاعر بأوجه الشبه بين صلاح الدين وعبد الناصر بل يبدو ان احتلال القدس ووقوع المسجد الاقصى بيد العدو يعيد ان إلى ذهنه تشابهاً من نوع آخر. تشابهاً بين الناصرين (صلاح الدين) و (داود) اللذين استردا القدس قبل ثمانية قرون تقريباً والرئيس عبد الناصر، فيرى في «عبد الناصر» ناصراً ثالثاً يسترد القدس، منطلقاً من قول الشاعر جمال الدين المعروف بابن مطروح (١١٩٦ – ١٢٥١):

المسجـد الأقصى لـــه عــادة

سارت فصارت مثــلا سائـــرا

إذا غدا للكــفر مستــوطنـــاً

ان يبعث الله له نـــاصـــرا

فنـــاصـــر أنقــــذه اولا

وناصر انقـــذه آخـــرا

كما يتضح في محاولة محمود الحوت التي حاكت قصيدة ابن مطروح قافية ووزناً وموضوعـــاً :

ايه جمال الدين من يقتـــفى

آثار من دك العـــدا قـاهـــرا

ومن بني حطين من هامهم
صرحاً بأمجاد الوغى عامرا ؟

ومن يعيد القدس يا شاعري
ويرجع الاقصى لنا زاهرا ؟
ومن يزين النصر من روحه
شعراً وهل نلقى له شاعراً ؟
مهلاً فهذا ناصر ثالث
ما كان إلا للعلا نافرا
فكم نزاع حلّه حاسماً
وكم صراع قاده قادرا (٨٦)

وتشاء الاقدار ان يصاب الشاعر بخيبة أمل من نوع جديد فقد رحل بطله الرئيس عبد الناصر قبل ان تتحقق نبوءته غير انه بالرغم من ذلك لا يفقد الأمل بل يواصل استحضار صلاح الدين سواء كان مقروناً بالرئيس الراحل أم مجسداً في أبناء الشعب العربي ولدينا على ذلك دليل في النماذج التالية من القصائد التي قيلت في رثاء الرئيس (٨٧) :

يا أول رجل يخرج من صلب بلادي
يجسم حيا من دمع المظلومين

---

(٨٦) محمود سليم الحوت .. ناصر او عود على بدء في التاريخ . .
مهرجان الشعر الثامن (القاهرة : ١٩٦٩) ٢٢٠.
(٨٧) وداعا عبد الناصر (لعدد من الشعراء) (القاهرة : ١٩٧١) .

يعيش في عينيه حسام صلاح الدين
محمد الجبار « أقوى من الالم »

رأيت في هتاف شعبي الجريح
رأيت خلف الصورة
وجهك يا منصورة
وجه لويس التاسع المأسور في يدي صبيح !
رأيت في صبيحة الاول من تشرين ،
جندك يا حطين ،
يبكون
لا يدرون ،
ان كل واحد من الماشين
فيه صلاح الدين
أمل دنقل « لا وقت للبكاء »

كلا فما صدق الناعي ولا الخبر
وتلك اعلامك الغراء تنتظر
يا باعث الروح في الموتى : الطرادادنا
والخيل تصهل والميدان يستعر
والقدس من لوعة اللقيا لناصرها
تهفو بأرجائها الايات والسور
وهللت خلف حطين كتائبها
وافترّ مكتئب واشتد منكسرُ
عبد المنعم الرفاعي «رثاء البطل »

وحين تجيء سحابة هولاكو التتري ،
وتزحف اذرعة التنـــين ،
وتنهار الاشياء جميعاً ،
تولد ثانية في عصر صلاح الدين
لكأنك ملفوفا بوشاح بلادك
آت تَوّاً من حطـــين
وكأنك قد ارهقت فتمت لتصحو بعد سنين

محمد الفيتوري « القادم عند الفجر »

وتمر سنوات أخرى والشاعر العربي يواصـــل التطلّع – كالعراف – إلى صلاح الدين الذي يأتي ولا يأتي يلتمس فيه بارقة أمل ويجدده رمزاً للاصرار العربي على استرجاع الحق المغتصب بالرغم مما يراه من سلبيات فتقرأ مثلا من قصيدة بعنوان « المخاضة ثانية » للشاعر العراقي عبد المطلب محمود :

انفروا في البطاح ثقالاً ولا تحزنوا
انتشروا بين أرض المخاضة حتى حدود السيوف
فللخيل معقودة في أعنتها أمة من رماح
ونخل لها الافق مزدحم بالنجوم

تلميحاً إلى « مخاضة الأحزان التي ابتدأ منها زحف صلاح الدين كما يقول الشاعر نفسه (الثورة (العراقية) ٩ / ٢ / ٩٧٨) وشفيق الكمالي – وهو يشهد اليوم في الساحة العربية موقفاً

يتنافى وموقف صلاح الدين يأبى إلا ان يتنبأ بهزيمة الموقف المعاصر لثقته بما ورثته وحفظته مصر من ارث صلاح الدين :

يا سالباً مِنْ مهيب النيل عزتــه
وبانياً للمخـــازي فوقـــه هــرمـا
حاشا تراب المعالي ان تبلــلــه
بماء وجهك مرذولا ومتهمــــا
هذا التراب صلاح الدين سال بــه
مروءة وصلاح الدين سال دما(٨٨)

* * *

---

(٨٨) شفيق الكمالي « هذا العراق وهذا انت قائدد » .
جريدة الثورة (العراقية) (٨ / ٢ / ١٩٧٨) .

— ٧ —

صلاح الدين في الشعر السعودي المعاصر *

ويحفل الشعر السعودي المعاصر بأمثلة غير قليلة أسهمت في استخدام هذه الصيغة واستمراريتها وسارت على النهج الذي التزم به الشعراء العرب عامة متخذة مدارها الاطار الاسلامي والعربي والفلسطيني ، وان كانت تتميز بتأكيدها الملحوظ على الدلالة الدينية وتجنبها — حسب اطلاعي المحدود — اقحام الشبه المفتعل بين صلاح الدين وبعض الشخصيات المعاصرة .

ونجد بين الشعراء السعوديين من خصّ « صلاح الدين » او « حطين » بقصيدة كما فعل غيرهم من الشعراء المعاصرين كاحمد شوقي وشكيب ارسلان وعلي الجندي وعبد المحسن الكاظمي وابراهيم طوقان وعدنان مردم — وقد أشير إليهم في الفصول السابقة — كما نلاحظ ذلك في قصيدة محمود عارف « صلاح الدين الايوبي »(المنهل١٢(٩٥١/١٩٥٢ : ٤٥٣—٤٥٤)

(*) أضيف هذا الفصل اثناء اقامتي في الرياض (١٩٧٨ — ١٩٧٩) بعد اطلاعي على نماذج من الشعر السعودي لم تتوفر لي من قبل .

وقصيدة محمد العيد الخطراوي « حزمة نور من حطين » (غناء الجرح ، جدة : ١٣٩٧ ؟ ٩٨ – ١٠٢) .

وفي الاولى يحاول محمود عارف ان يقدم صورة وصفية « لبطولة نادرة ومثل بارز من امثلة الزعامة الصالحة والقيادة الرشيدة في الاسلام » كما يقول الشاعر في مقدمته ، مستعرضاً مزايا البطل ، وبطولة جيشه في معركة حطين :

هزّ عرش الملوك والأقيـــال
بطل ظلّ قـدوة الابطـــال

قاد جيش التحرير وهـو كفـاء
لجيوش الصليب جنـد الكـلال

أين جيش التوحيـد فيه صلاحٌ
من فلول الصليب حزب الضلال

كل شهم نراه كالأسـد الكاسر يضري بسيفه القتال
وصلاح يدير كالسائس الماهر امر الصفوف في استبسالِ

ويواصل الشاعر على هذا النمط التقريري رسم الصورة البطولية لصلاح الدين مشيراً إلى دهائه وبسالته وتعاليه في صراعه مع خصمه مكتفياً بتذكيرنا انه بطل من حقنا ان نفخر به ، وان نقتفي أثره من غير أن يصرح بالوضع الراهن او يلمح إليه :

هو هذا التاريخ ينطق حقـــــاً

بأساليب فنه في الصـــــــيال

غير ان السيـــوف وهي فصـــاح

حدثتنـــــا بأصـــدق الأقــوال

حدثتنا بـــأن أخلـــــد مجـــد

سطرته دماء صرعي الرجـــــال

وسطور الدماء في صفحة القائد أبقى من منتجات الخيال

أيها الشرق فافتخر بصلاح الدين ليثاً مستسهل الأهوال

فصلاح في الشرق رمز علاء

نهجه في الدهـــــاء نهج اعتـــدال

ويختم قصيدته بأبيات تبرز دور العقيدة والفعل في بطولة صلاح الدين :

لم تكن تلك حرب رأي لــــرأي

أو صـــراع عـــلى تـــراث بالي

انما كانت العقيدة تحدوه لحرب تدور رهن اتصال

هـــكذا كانـــت العقيـــدة رمزاً

لصلاح يوم الوغى والنــــــزال.

حاطها بالحفاظ من نفسه الحرة والنفس منجم الافضال

فتبدى في موقف الحرب مغواراً عزوماً موفق الاعمال

ومشى في زعامـــة البطل الفذ امام التاريخ بالافعال !

أما الحطراوي فهو يعكس في قصيدته « حزمة نور من حطين » روئية متفائلة لمعاناة العرب اليوم ، على ما يشوبها من آثار الخيبة والهزيمة ، مستوحياً تفاؤله من فكرة الاقتداء بمثل مشرق من البطولة في تاريخنا :

قوافل الضياء من حطين تسكب الشعاع
تهدي به الاحفاد في مسيرة الضياع
وتسكب الامراع
في سهلنا الموبوء واليفاع
في غابنا المملوء بالذباب
وفي عيوننا المتوثبة الاهداب
قد عششت بها قوافل الذئاب
لعلنا نستلهم الصواب
ونعرف الطريق للاياب
وتخنق الخنوع في الضمائر الخراب
وتزرع الري على شفاهنا السراب

ويرى الشاعر حطين قمة في مجدنا التليد ، تباركها معارك فاصلة أخرى من التاريخ او الحاضر .

يا قمة في مجدنا التليد :
قد عانق الاوراس عزّها المشيد .

وانها تملك القدرة على ان تنور لقومه طريق الصمود ، وتعلمهم كيف يعشب الكفاح بالحديد غير متجاهل آثار سنيّ القحط :

مرت سني القحط في ضراوة الرعود
كقهقهات القيد في سواعد العبيد .
كز مجرات منجل في عنق الورود
مغمورة بالدمع والاحزان والتسهيد
غصت بها أيامنا
وأثخنت أشواقنا
وشوهت احداقنـــا
فهل نرى ياقدسنا صباحك الجديد
وهل تذيب الشمس سورة الجليد

ويأتي صدى هذا التساؤل في خاتمة القصيدة التي ترفض اليأس والموت وتدعو إلى التمسك بالوحدة .

وينشر الشاعر عبدالله الحميد بضعة ابيات يناجي فيها حطين مرة بعنوان «صرخة الجهاد»(أمل جريح، القاهرة : ١٩٧٧ : ١٧) واخرى تحت عنوان « أمل » مع شيء من التنقيح في مجموعة (لقاء لم يتم ، القاهرة، ١٩٧٧ : ٤٩ ــ ٥٥) .

« حطين » يا أملاً تشرب في دمـي
وهو ى له في القلب وهج ضـــرام
وجوى يدب رسيسه بجـــوانحـــي
ورسيسه نسجٌ مـــن الالهـــــام
أهفـــو له والقلـــب يخفـــق لوعة
من وقعه فيزيـــد مـــن إيلامـــي

ينثال صـــوت الحـــق من متلهف

لشظى القتـــال وفارس مقـــــدام

يستنهض الهمم الكســـولــة للعـــلا

للمجد والتحـــريـــر للاقـــــدام

حتى م يبقى الذل تاج جباهنـــــا

وترابنا حلمٌ ؟ من الاحلام (٨٩)

ويكرر الشاعر التصريح بحطين او صلاح الدين في مواضع مختلفة من ديوانه « امل جريح » بطريقة تقليدية تغلب عليها الخطابة ، متطلعاً حيناً إلى النظير المعاصر للبطل ، وحيناً آخر إلى « حطين » أخرى وهو أسلوب مألوف من أساليب الصيغــة الصلاحية :

* من لي بمثل صلاح الدين يسعرها

حرباً ضروساً على أعتى اعادينـــا

---

(٨٩) وردت الأبيات المذكورة على الوجه التالي في ديوان الشاعر أمل جريح القاهرة : ١٩٧٧.

حطين يا أملا يـلوح بخـاطـــري — وله على التحنـــان خير مقـــــام

وجوى يـدب رسيسه بجـوانحـــي — ورسيسه نسج مـــن الالهــــام

أصغي لــه والقلب يخفـق لوعـــة — من وقعه فيزيد مـــن آلامـــي

ويضج صـــوت الحـــق من متلهـف — لشظى القتـــال وفارس مقـــــدام

يدعو الورى نحـــو الجهاد بصيـــحـــة — دوى صداها في ذرى الآكـــــام

لا صبر بعـــد اليـــوم يـــا أقوامي — فلتقدمي يـــا أمـــة الاســـلام

* ذكراك حطين في قلبي لها أثـــرٌ

فلنستعد يا بناة المجد حطينـــا

* ومتى يزمجر جيشنا في وحـــدة

تنضم تحت لوائه الفرقـــاني

لنعيـــد مجـــداً سالفاً ونعيـــدها

حطين ثانية على الحـــــدثـــانِ

ولحسن عبدالله القرشي في ديوانه «فلسطين وكبرياء الجرح» (بيروت : ١٩٧٠) تلميحات مماثلة إلى صلاح الدين او حطين كقوله مخاطباً لبنان في مهرجان الأخطل الصغير :

يا شموخ الاباء كنت وما زلـــت

عقاباً يسمو عـــلى المجتـــاح

ذروة يكسف الشموس سنـــاهـــا

انبتت للنضـــال الـــف صلاح

او في موضع آخر يوحي باستلهام حطين في معركة اليوم :

فليوث العروبة اليوم يأتون لذي الغدر نشوة العنفوان

يتنادون يا لصولة حطين فتشتد ثورة البركـــــــان

اما خالد بن محمد الفرج فهو يرسم في قصيدته « المعراج » (المنهل » (٥٠ / ١٩٥١) : ٣٢٠ ـ ٣٢١) صورة يوازن فيها بين وضع القدس بالأمس ايام الفتح الاسلامي وايام صلاح الدين ووضعها اليوم وقد انتهكت حرمتها وشتت أهلها :

القدس للفاروق يفتح بابه

ويزيل عنه محكم الارتاج

ويظل مفتوح الرتاج مؤمنا

حراً لمقدم سائر الحجاج

وأتى صلاح الدين يقدم جيشه

ليبشر المأسور بالافراج

واليوم روعت المحارم جهرة

فيه وشتت أهله بملاجي

ويستعين حسن الصيرفي بحطين وصلاح الدين وغيرهما من رموز البطولة في سياق العدوان الجديد على فلسطين مستغيثاً باللازمة الشعرية التي تنتظر « صلاح الدين » كمنقذ جديد وذلك في قصيدة « يا عيد » (دموع وكبرياء ، القاهرة . ب . ت .)

يا عيد عدت فهل عادت ليالينا

وهل ترنم في الصحراء حادينا

* * *

أعد حديثك عن بدر وعن أحد

وعن حنين ويرموك وحطينا

وعن اناس تفانوا في عقيدتهم

قد جرّعوا الكفر بالايمان غسلينا

فردوسنا قبل امس ضــاع واأسفا
وأمس قد سلبوا منا فلسطينـــا

* * *

حرب الصليب ترى عادت شرارتها
من بعدما هدأت نيرانهـا حينـا
من لي بمثل صلاح الدين يقذفهـم
إلى البحار التي القت بهـم فينـا

وفي ديوان الخطراوي « غناء الجرح » امثلة اخـرى تتسم باطراد الرجوع إلى حطين او صلاح الدين في السياق الفلسطيني ، وفي خلفيات لا توحي إلا باليأس ففي قصيدته « سين وجيم » مثلاً يبدو الشاعر عاجزا — ازاء اسئلة حبيبته — عن البوح بسر حزنه متمنياً لو يكتفي بالحب والهيام وبالبحث عن أي مكان يأوى إليه ، بعيداً عن وطنه ..

في آسيا.. افريقيا.. في كوكب المريخ
في اي موطن لكنه بعيد
لاوائل به ولا نزار
ولا خديجة ولا الرباب
حبيبتي ما أجمل البعاد ! ..

ولكنه يدرك عبثية هذا الحلم ، او الهروب بعيداً ، ومرابع الاجداد عشقه ، في دمه ولهذا فهو يبحث عن الحل الداخلي ،

ويدعو حبيبته إلى التماس الجواب في مواقف مشرقة من تاريخ امتها وبينها حطين بأسلوب يعيد اليه ثقته بالمستقبل :

ولتسألي حطين عن صلاح
هل رقصت ضفائر الصباح
إلا على قعقعة السلاح
وهادر الجراح ؟ .

ولغازي القصيبي إشارة إلى خيبة التفاؤل بحطين جديدة تطلع إليها العرب أو وُعدوا بها في حرب حزيران ١٩٦٧ :

إنني أذكر ذاك اليوم
— هل مرت سنة ؟ —
عندما خضنا مع المذياع
حطين الجديدة

(معركة بلا راية ، ١٩٧١ : ٥٨)

ولعلّ أكثر النماذج غنائية وتحرراً من اللهجة التقريرية ما نجده في ديوان الشاعر أحمد صالح الصالح (عندما يسقط العرّاف ، القاهرة ١٩٧٨) وقد استخدم الصيغة الصلاحية في بضع قصائد مدارها الأحداث الأخيرة في لبنان والقضية الفلسطينية كقوله من قصيدة « إلى المليحة بيروت » .

بيروت !
ما أقسى الحديث
عن المغول

وعنك
فانتظري فتاكِ
فربما نزل المسيح من السما
ولربما هرم فداك
وربّما عزّ الفدا
أو ربما يأتي « صلاح الدين »
فانتظري !
فإن جميع من أحببت
قد فقدوا الوفاء

ويتجلى منحاه الغنائي بشكل أوضح في قصيدته « الفجر في بيروت » (الديوان : ٦١ – ٦٤) حيث يصف حياة المجون واللهو التي شغل بها قومه عما يُراد أو يحلّ بهم من غدر ، ويعبّر بنغمة هادئة حزينة عن إحساسه بالتمزق اللوعة ، وهو يناجي صلاح الدين :

حبيبتي !
مروا على شواطيء العشاق كالوباء
تنفسوا في كل زهرة
فمات فيها السحر والنما
تسللوا في كل صدرٍ ..
قال :
– في وجوه الغادرين –
لا

* * *

الراقصون – يا حبيبتي –
والوافد الغريب
مرّ الفجر في عيونهم
ينضح بالمأساة والدماء
– الراقصون ؟ ؟
عادوا في شفاههم رائحة النبيذ
نكهة النساء
– والآخرون ؟ ؟
يلعقون في جراحنا نزيف كبرياء

ثم ينتقل الشاعر في المقطع الخامس إلى صلاح الدين يقارن بالأسلوب الاعترافي بين سمو الماضي وانحلال الحاضر مستخدماً صيغة البحث عن فارس العصر بطريقة مألوفة ، على لسان الأموات من أبطال حطين لا أحياء اليوم ، كأني به يريد أن يدين قومه بالعجز حتى عن البحث :

يا سيدي – صلاح الدين –
حطـــين
تبكي ملء أعين الجهـــادِ
هل بكيتْ
أبطـــالها ؟
اهتزت بهم – غيظاً –
شواهد القبور

يبحثون بيننا عن فارس ما سوّفت يمناه
يأبى أن تذل القدسُ
مثلما أبيت
يا سيدي !

ويحسن الشاعر عندما يوحي ولا يُصرّح بما آل إليه الحاضر من سقوط ، تاركاً للقاريء أن يُفسّر ما كان يريد قوله :

وهذه المأساة في حلوقنا
لا زال طعم ليلنا يندى له الجبين
والمروءات التي عهدتها
تخجل من حياتنا ـ
معذرة ـ يا سيدي ـ
أريد أن أقولْ
لكنني وا أسفي ـ
جبنتْ
شربت من دم المأساة
وانتشرت في حانات نصف الليلِ
كالخفاش
ما غضبت للمأساة
ما ملكت شهوتي ـ يا سيدي ـ
ولا جرّبت يوماً توبتي

ولا أشاعوا — مرةً —
أني — لما اقترفته — ندمتْ

ويبدو الشاعر أكثر تفاؤلاً في قصيدته « قراءة في يوم الغفران » وقد قالها بعد سبع سنوات عجاف من وقوع حرب حزيران ١٩٦٧ متلمساً على الأفق ما يبشر بالخلاص ، بعودة صلاح الدين يستعرض الخيول في القدس ظافراً :

سقط الغفران ؟
هل يدخل بعد اليوم للمحْرابِ
عيسى
والعذارى
هل يجرجرن الذيولا ؟
وصلاح الدين ؟
هل يقتاد « دايان »
ويستعرض في القدس الخيولا

* * *

مثلما الحق سيعلو
سوف نأتي
مثلما الفرحة تأتي
ونلبي قدر الحق
فلسطين
قبيلا فقبيلا

ومن الوسائل التي ينفرد بها « الصالح » في استخدام الصيغة الصلاحية العشق الأسطوري الذي يربط بين حبيبين يشخص به وفاء القدس ، الحسناء التي تأبى أن تنتظر أو تعشق غير صلاح الدين :

يا أيها العرّاف !
حبيبتي الحسناء — تدعى أورشليم
تنام كالسبيّ
في عيون المذنبين
وتشتهي قراءة الهوى
في أعين المجاهدين في دموع التائبين
متاعها الصبار واليقطين
حبيبتي ؟
وديعة ، طيبة
تحبُ كل الطيبين
ما عشقت أو مارست
إلا هوى صلاح الدين —

وهو يذكرنا بوسيلة مماثلة يستعين بها محمود درويش في تجسيد صلة الفلسطينيين بأرضه كما يدل على ذلك ديوانه (عاشق من فلسطين) .

ويلجأ الشاعر محمد ناصر المنصور في قصيدة له بعنوان « الموت قبل أوانه » إلى صلاح الدين في سياقين : الأول

يتساءل فيه كيف ينسى المعتدي ما لقيه على يد صلاح الدين :

وأنا والسندباد المتكي فوق السفينة
نرقب المستقبل المغمور من قبل الصباح
نسمع الجلاد خلف الغيب رعباً
يشحذ السكين تلو الثانية
كيف ينسى
وعلى الشفرة آثار فلول باقية
لصلاح الدين

وفي السياق الثاني يعيد إلى الأذهان فكرة الصليبية الجديدة بعودة من حاربوا صلاح الدين في وجوه مستعارة :

لسليل الحقد ممن حاربوك
يا صلاح الدين
واستشاطوا غضبا
يوم عادوا بالهزيمة
وأتونا في وجوه مستعارة

وفي قصيدة أخرى تمس فلسطين في مرحلة ما بعد توقيع معاهدة السلام يستذكر الشاعر صلاح الدين العاشق الفارس كخليفة لنقيضه المعاصر (جريدة الرياض : ٩٧٩/٥/٢٧)

تحدّت مسير القـــرون وغنّت
وفي قلبهـــا ذكريات عصيبه

وراقصهـــا في جنون المحب

(صلاح) فكانت بحق حبيبه

على سيفه جمـــرة من حياء

كساها جمالاً وعــدلاً وطيبه

وسيفك لولاك ما كان حيّاً

وموتك حـــزن سقاني نحيبـــه



— ٨ —

خاتمـــة

لقد دل هذا العرض السريع للفكرة أو الصيغة الصلاحية في الشعر العربي الحديث على أن صلاح الدين يمثل مصدراً أساسياً من مصادر الإلهام ثراً بموضوعاته وصوره ورموزه ، كما بين أن استخدام الشاعر العربي له بدأ في إطار الدين الإسلامي كما لاحظناه عند شوقي وارسلان وامتدّ إلى القضايا العربية ثم أصبح متلاحماً مع مأساة فلسطين أكثر من أية مشكلة أخرى ، ولكن اختلاف مجالات استخدامه لم يجرده تجريداً تاماً من دلالته الدينية ، بل ظل عدد غير قليل من الشعراء يلمحون إليها لا سيما أولئك الذين يعتمدون في رؤيتهم الشعرية على الإسلام كمحمد مصطفى الماحي وخالد الشواف وعدنان مردم ومحمود عارف وحسن الصيرفي .

ولقد كان من الطبيعي أن يستعيد الشاعر ذكرى البطل في مواضع عاشها تاريخياً كالمعارك التي خاضها أو المدن التي اقترنت به في حياته وموته كحطين والقدس ودمشق ودمياط

وإن كان لبعضها النصيب الأكثر من أمثلة الاستشهاد بالبطل .
وإذا كان الشاعر قد اتخذ بطولة صلاح الدين ركيزة لتغنيه فإنه لم يغفل الجانب الخلقي من سلوك البطل كتسامحه وإنسانيته وما يروى عنه من ترفع عن الدنايا وزهد في المجد الشخصي كما أن الشاعر لم يهمل التلميح إلى أن جهاد صلاح الدين لم يكن موجهاً ضد دين خصومه بل ضد سياستهم ومطامعهم في فلسطين ، وقد وضحت هذه الدراسة كذلك مدى اهتمام الشعراء المعاصرين به كرمز للخلاص على اختلاف معتقداتهم الدينية واتجاهاتهم السياسية ، أي أن صلاح الدين — بالرغم من الجدل التاريخي حول أصله أو إيثاره مذهباً إسلامياً معيناً على آخر — أصبح بالنسبة للشاعر العربي الرمز البطولي الذي يسمو على الاعتبارات الدينية أو السياسية وليس في ذلك من غرابة ، فقد استحال من قبل بفضل خصاله الإيجابية إلى مثال الفارس أو البطل الذي يمجد حتى في الآداب الأوربية وأخص بالذكر منها الأدبين الإيطالي والفرنسي . ولا شك في أنه أهل لما لقي أو يلقى من اهتمام شعرائنا في معالجته لقضايا معاصرة . غير أن طريقة التغني به — كما وردت في كثير من الأمثلة — تكشف بعض الجوانب السلبية في رؤية الشاعر العربي أهمها إسرافه في التطلع المتفائل إلى معجزة البطل الفرد من غير اهتمام كبير بالأساس الجماعي أو الشعبي في البحث عن طريق الخلاص من محنة العرب الحالية ، ومنها اللهجة الخطابية أو الأسلوب التكراري في

ذكر صفات البطل بما ينطوي عليه من ترداد للكلمات ذاتها حتى يمكن أن يقال بأن لصلاح الدين قاموساً لفظياً محدوداً ، ومنها افتعال بعض أوجه الشبه بين صلاح الدين والشخصيات المعاصرة . ولكن ذلك كله لم يُجرّد الصيغة الصلاحية من إمكانيتها التعبيرية ولا يحول دون استمرارها كتقليد أدبي لسببين متلازمين : صلتها الوثيقة بالسياق الذي ترد فيه أي الصراع بين العرب والمسلمين من جهة والغرب أو إسرائيل من جهة أخرى ، واكتسابها طاقة شعورية تنوعت ونمت على مر الأيام واختزنتها الذاكرة الجماعية أو الوطنية التي يخاطبها الشاعر .

المراجع

أ – دراسات عامة عن صلاح الدين الأيوبي :

الابراشي ، محمد عطية :

أبطال الشرق : صلاح الدين ، محمد فريد وسعد زغلول القاهرة : ١٩٤٧ .

صلاح الدين الأيوبي . القاهرة : ١٩٥٨ .

أبو حديد ، محمد فريد :

صلاح الدين الأيوبي وعصره . القاهرة : ١٩٢٧ .

صلاح الدين الأيوبي البطل العربي الذي انتصر على الغرب . القاهرة : ١٩٥٨ .

الابياري ، إبراهيم .

البطل الخالد : صلاح الدين والدولة الأيوبية. القاهرة : ١٩٦٢ .

الأمين ، حسن :

« حقيقة صلاح الدين : أنه لم يزل ظل الصليبية بل ساعد على امتداده » العرفان ٦٠ (١٩٦٨/٦٧) ٩٥–٩٩ .

« أسطورة صلاح الدين » العرفان ٦٠ (١٩٦٨/٦٧)
٢٨٦–٢٩٢

بيلي ، أحمد :

حياة صلاح الدين الأيوبي . القاهرة : ١٩٣٦ .

جاماتي ، حبيب :

الناصر صلاح الدين . القاهرة : ١٩٦٢ .

حمزة ، عبد اللطيف :

صلاح الدين : بطل حطين . القاهرة : ١٩٣٧ .
صلاح الدين سلطان مصر وسوريا . القاهرة : ١٩٤٤ .
صلاح الدين بطل حطين . القاهرة : ١٩٥٨ .

خليفة ، أحمد علي :

صلاح الدين الأيوبي : بطل موقعة حطين . القاهرة :
ب. ت.

الدهان ، سامي :

صلاح الدين الأيوبي . القاهرة : ١٩٦٠ .

الدومي ، أحمد عبد الجواد :

صلاح الدين الأيوبي . القاهرة : ١٩٥٨ .

الرساوي ، محمود محمد :

من روائع التاريخ العسكري العربي : يوم حطين .
القاهرة : ١٩٦٢ .

رضا ، محمد :
بطل حطين . القاهرة : ب. ت.
الرمادي ، جمال الدين :
صلاح الدين الأيوبي . القاهرة : ١٩٥٨
سعداوي ، نظير حسان :
جيش مصر أيام صلاح الدين . القاهرة : ١٩٥٦ .
سلاّم ، محمد زغلول :
الأدب في عصر صلاح الدين . القاهرة : ١٩٥٩ .
الأدب في العصر الأيوبي . القاهرة : ١٩٦٨ .
سيد الأهل ، عبد العزيز :
أيام صلاح الدين . بيروت : ١٩٦١ .
طرخان ، ابراهيم علي :
الناصر صلاح الدين وتحرير القدس . القاهرة : ١٩٦٨ .
عاشور ، سعيد عبد الفتاح :
الناصر صلاح الدين . القاهرة : ١٩٦٥ .
العجيلي ، ع . و. :
« صلاح الدين في معركة حطين » الحديث ٨ (١٩٣٤)
٤٣٤ — ٤٣٩ ، ٤٨١—٤٨٤ ، ٥٣٣—٥٣٩ .

عيد ، عبد القادر :
صلاح الدين الأيوبي والقومية العربية . القاهرة : ١٩٦١
قلعجي . قدري :
صلاح الدين الأيوبي : رجل غير وجه التاريخ . ط٣ بيروت : ١٩٥٦ .
صلاح الدين الأيوبي : قصة الصراع بين الشرق والغرب بيروت : ١٩٦٦ .
ماجد ، عبد المنعم :
الناصر صلاح الدين الأيوبي ط ١ . القاهرة : ١٩٥٨ .
الناصر صلاح الدين الأيوبي . ط٢ ، منقحة . بيروت . ١٩٦٧
موسى سلامة :
« صلاح الدين ومقامه في التاريخ » مقالات ممنوعة ط٢ القاهرة : ١٩٦٣ . ص ١٠٩–١١٤ .
موسى ، محمود عزت :
الناصر صلاح الدين . القاهرة : ١٩٥٨ .
النجار ، محمد الطيب :
الصليبيون وصلاح الدين . القاهرة : ١٩٦٢ .
الوكيل ، مصطفى :
صلاح الدين الأيوبي . القاهرة : ١٩٢٨ .

ب — مراجع وأعمال أدبية : *

ابراهيم ، حافظ :

ديوان حافظ ابراهيم حـ ١ القاهرة : ١٩٥٤ (ش) .

ابن عاشور ، محمد الفاضل :

الحركة الأدبية والفكرية في تونس . القاهرة : ١٩٥٦ .

« أبو سلمى » :

« أحرفنا الحمر » المعرفة . ٥ (٥٧ / تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦) ٧٤—٧٧ (ش) .

أبو غزالة ، سميرة :

الشعر العربي القومي في مصر والشام بين الحربين العالميتين الأولى والثانية . القاهرة : ١٩٦٦ .

الأثري ، محمد بهجة :

ملاحم وأزهار . القاهرة : ١٩٧٤ (ش) .

أرسلان ، شكيب :

« بحيرة طبرية أو واقعة حطين » المقتطف ٢٧ (١٩٠٢) ٢٢٦—٢٣٢ (ش) ..

ديوان الأمير أرسلان . القاهرة : ١٩٣٦/٣٥ (ش)

شوقي أو صداقة أربعين سنة . القاهرة : ١٩٣٦ .

(*) لقد أشير الى نوع العمل الادبي بالرموز التالية : ق — قصة، م — مسرحية ش — شعر ، خ — خطبة ، خ ش — خطب وقصائد ، أما الدراسات فقد ذكرت بدون اي رمز.

الأشتر ، صالح :
في شعر النكبة . دمشق : ١٩٦٠ .

الآلوسي ، جمال الدين :
« المطولات أو شعر الملاحم » الأقلام (البغدادية) ١(٤/ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٢) ٣٤–٤٤ .

الأمين ، عبد الله عبد الرحمن :
ديوان العروبة . القاهرة : ١٩٦٢ (ش)

أمين ، كامل :
المشاعل . القاهرة : ١٩٦٢ (ش).

أنطون ، فرح :
السلطان صلاح الدين . القاهرة : ١٩٢٣ (م) .

بحيري ، عامر محمد :
تحت لواء العروبة . القاهرة : ١٩٦٠ (ش) .

بدوي ، أحمد أحمد :
صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره وكتابه . القاهرة : ١٩٦٠ .

« معركة بيت المقدس واثرها في الأدب » من النقد والأدب حـ ٣ القاهرة : ١٩٦٠ . ١٧٥–١٩٤ .

بطي ، رفائيل :
الأدب العصري في العراق العربي حـ ١ القاهرة : ١٩٢٣ .

البياتي ، عبد الوهاب :
النار والكلمات : بيروت : ١٩٦٤ (ش)
الموت في الحياة . بيروت : ١٩٦٨ (ش) .
تامر ، عارف :
سنان وصلاح الدين : بيروت : ١٩٥٦ (ق)
الجارم ، علي :
ديوان الجارم . حـ ٤ القاهرة : ١٩٤٧ (ش)
سبحات الخيال . القاهرة : ١٩٦١ (ش)
جحا ، فريد :
العروبة في شعر المهجر . بيروت : ١٩٦٥ .
الجرنوسي ، خالد :
قصص إسلامية . القاهرة : ١٩٦٢ (ش)
الجندي ، علي :
أغاريد السحر . القاهرة : ١٩٤٧ (ش)
جواد ، كاظم :
من أغاني الحرية . بيروت : ١٩٦٠ (ش) .
الجواهري ، محمد مهدي :
ديوان الجواهري ج ١ بغداد : ١٩٤٩ (ش) .
الجيزاوي ، محمد سعد الدين :
العامل الديني في الشعر المصري الحديث القاهرة : ١٩٦٤ .

الجيوشي ، محمد ابراهيم :
شاعر العروبة والإسلام : أحمد محرّم . القاهرة : ١٩٦١ .

الحداد ، نجيب سليمان :
صلاح الدين الأيوبي الاسكندرية : ١٨٩٨ (م)

حسن ، حسن جاد :
الأدب العربي في المهجر . القاهرة : ١٩٦٢ .

حسين ، محمد كامل :
دراسات في الشعر في عصر الايوبيين . القاهرة : ١٩٥٧

حسين ، محمد محمد :
الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر حـ ١ القاهرة : ١٩٦٢ .

حشيمة ، عبد الله :
« الشفيعان : اللغة والمرأة » العرفان ٥٤ (١٩٦٧/٦٦) ٧٤١—٧٤٨ (م) .

حمزة ، عبد اللطيف :
أدب الحروب الصليبية . القاهرة : ١٩٤٨ .

الحميد ، عبد الله :
أمل جريح . القاهرة : ١٩٧٧ (ش)
لقاء لم يتم . القاهرة : ١٩٧٧ (ش)

الحوت ، محمود سليم :
« ناصر أو عود على بدء في التاريخ »
مهرجان الشعر الثامن . القاهرة : ١٩٦٩ (ش) .

الحوفي ، أحمد محمد :
القومية العربية في الشعر الحديث . القاهرة : ب. ت .
وحدة الثقافة والتاريخ في الشعر الحديث . القاهرة : ١٩٦٥ .
التراث الروحي والشعر الحديث . القاهرة : ١٩٦٦ .

الحوماني ، محمد علي :
« على قبر صلاح الدين الأيوبي » العرفان ١١ (٢٥/ ١٩٢٦) ١٣٩–١٤٠ (ش)

خزنه دار ، محمد الشاذلي :
ديوان خزنه دار . تونس : ١٣٤٤ هـ (١٩٢٥) . (ش)

الخضري ، عبد الغني :
ديوان عبد الغني الخضري . النجف : ١٩٥٢ (ش)

الخطراوي ، محمد العيد :
غناء الجرح . جدة : ١٩٧٧ (ش)

الخطيب ، محب الدين (ناشر) :
ذكرى موقعة حطين . القاهرة : ١٩٣٢ (خ ش) .

الخطيب ، يوسف :

واحة الجحيم . بيروت: ١٩٦٤ (ش)

ديوان الوطن المحتل (تقديم ومختارات)دمشق : ١٩٦٨.

داود ، أنس :

التجديد في شعر المهجر . القاهرة : ١٩٦٧ .

درويش ، محمود :

حبيبتي تنهض من نومها بيروت : ١٩٦٩ (ش)

أوراق الزيتون . حيفا : ١٩٦٤ وطبعة بيروت : ١٩٦٩ (ش) .

دقاق ، عمر :

الاتجاه القومي في الشعر المعاصر . القاهرة : ١٩٦١

الدهان ، سامي :

محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان . القاهرة : ١٩٥٨

دياب ، محمود :

باب الفتوح . القاهرة : ١٩٧٤ (م) .

رشيد ، هارون هاشم :

مع الغرباء بلا مكان . ب.ت . (ش)

حتى يعود شعبنا . بيروت : ١٩٦٦ (ش)

سفينة الغضب . الكويت . ب.ت (ش)

رمزي نظيم ، محمود :
الرمزيات . القاهرة : ب.ت (ش)

زياد ، توفيق :
اشدّ على أيديكم . بيروت : ب.ت. (ش) .

زيتون ، محمد محمد :
أحلام الربيع . الاسكندرية : ١٩٦٩ (ش)

زيدان ، جرجي :
صلاح الدين ومكائد الحشاشين . القاهرة : ١٩١٢/ ١٩١٣ (ق) .

سلام ، محمد زغلول :
القومية العربية في الأدب الحديث . القاهرة : ١٩٥٩ .

السوافيري ، كامل: الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة ١٩١٧ إلى سنة ١٩٥٥ . القاهرة : ١٩٦٣ .

السياب ، بدر شاكر :
انشودة المطر . بيروت : ١٩٦٠ (ش)

الشبيبي ، محمد رضا :
ديوان الشبيبي . القاهرة : ١٩٤٠ (ش)

شرارة ، عبد اللطيف :
الشاعر القزوي . بيروت : ١٩٦٠

الصالح ، أحمد صالح :
عندما يسقط العراف . القاهرة : ١٩٧٨ (ش)
الشرباصي ، أحمد :
أمير البيان شكيب أرسلان . القاهرة : ١٩٦٣
شعبان ، محمود :
صلاح الدين الأيوبي . القاهرة : ١٩٥٧ (م)
شوقي ، أحمد :
الشوقيات ٤ أجزاء القاهرة : ١٩٦١ (ش)
الشوقيات المجهولة . جمع محمد صبري . ٢ ج . القاهرة : ١٩٦١
صادق ، محمود محمد :
ديوان صادق . القاهرة : ١٩٢٣ (ش)
من أدب الثورات القومية وحروب التحرير . القاهرة : ١٩٥٠ (ش)
صبري ، محمد :
الشوقيات المجهولة . ٢ حـ . القاهرة : ١٩٦١ .
الصغير ، محمد حسين :
فلسطين في الشعر النجفي المعاصر : ١٩٢٨-١٩٦٨ بيروت : ١٩٦٨

صيدح ، جورج :
حكاية مغترب . بيروت : ١٩٦٠ (ش)
أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية . بيروت : ١٩٦٤
ضيف ، شوقي :
البطولة في الشعر العربي . القاهرة : ١٩٧٠
طاقة ، شاذل :
« لا تقولي انتهينا » مهرجان الشعر التاسع . القاهرة : ١٩٧٠ ص ١٣٧—١٤٠ (ش) .
طبانة ، بدوي :
« نظرات في الشعر العراقي المعاصر » الرسالة ٢٢ (١٠٧٠/ ٢٣ يوليو ١٩٦٤) ٨—٩
« كفاح مصر والعراق في شعر خالد الشواف » الرسالة ٢٢ (١٠٧٣/٦ أغسطس ١٩٦٤) ٨—٩ .
الصيرفي ، حسن :
دموع وكبرياء . القاهرة ، ب.ت . (ش)
الطعمة ، صالح جواد :
« صلاح الدين الأيوبي في الشعر العربي المعاصر »
الآداب ١٨ (١٠/تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠) ١٧—٢٢
٧٣—٧٨
«في انتظار الذي يأتي ولا يأتي : صلاح الدين في الشعر السعودي» جريدة الرياض(٢٩/٤/٩٧٩ و ٣/٥/٩٧٩).
طوقان ، إبراهيم :
ديوان ابراهيم . بيروت : ١٩٥٥ (ش)

عارف ، محمود :
«صلاح الدين الايوبي » المنهل ١٢ (٩٥٢/٥١) ٤٥٣–٤٥٤ (ش)

عبد الصبور ، صلاح :
شجر الليل . بيروت : ١٩٧٢ . (ش)

عبد القادر ، على صدقي :
صرخة . بيروت : ١٩٦٥ (ش)

عبود ، مارون :
رواد النهضة الحديثة . بيروت : ١٩٥٢

العبوشي ، برهان الدين :
ديوان جبل النار . بغداد : ١٩٥٦ (ش)

العريان ، محمد سعيد :
« فارس حطين : قصة من وحي المعركة » الكتاب ٦ (١٩٤٨) ٨٩ ٢–٢٩٨ (ق)

عزالدين ، يوسف :
في الأدب العربي الحديث . بغداد : ١٩٦٨/٦٧

علاّم ، مهدي وآخرون :
المطالعة الوافية حـ٣ . القاهرة : ١٩٦٠

غريب ، غريب محمد :
« الناصر صلاح الدين» مهرجان الشعر الرابع . القاهرة : ١٩٦٣ ص ٦٣–٦٤ (ش)

الفرج ، خالد بن محمد :

«المعراج» المنهل ١١ (١٩٥١/٥٠) ٣٢٠–٣٢١ (ش)

فروخ ، عمر :

شاعران معاصران ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي . بيروت : ١٩٥٤ .

فهمي ، ماهر حسن :

شوقي وشعره الإسلامي . القاهرة : ١٩٥٩

القاسم ، سميح :

دمي على كفي . بيروت : ب.ت (ش)

القبّاني ، عبد العليم :

أشعار قومية . القاهرة : ١٩٦٦ (ش)

قبّاني ، نزار :

شعراء الأرض المحتلة . بيروت : ١٩٦٨ (ش)

القرشي ، حسن عبد الله :

فلسطين وكبرياء الجرح . بيروت : ١٩٧٠ (ش)

القصيبي ، غازي :

معركة بلا راية . بيروت : ١٩٧١ (ش)

الكاظمي ، عبد المحسن :

ديوان الكاظمي . القاهرة : ١٩٤٠ (ش)

الكمالي ، شفيق :
«هذا العراق وهذا أنت قائدة» الثورة العراقية (٨/٢/ ١٩٧٨) (ش)

كنون ، عبد الله :
أحاديث عن الأدب المغربي الحديث . القاهرة: ١٩٦٤

الكيالي ، سامي :
الأدب والقومية في سورية . القاهرة : ١٩٦٩

كيلاني ، محمد سيد :
الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام . القاهرة : ١٩٤٩

الماحي ، محمد مصطفى :
ديوان الماحي . القاهرة : ١٩٦٨ (ش)

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب :
تقويم الشعر السنوي الرابع . القاهرة ؛ ١٩٦٧ (ش)
مهرجان الشعر الأول . القاهرة : ١٩٦٠
مهرجان الشعر الثاني . القاهرة : ١٩٦١
مهرجان الشعر الرابع . القاهرة : ١٩٦٣
مهرجان الشعر الخامس : القاهرة : ١٩٦٤
مهرجان الشعر السادس . القاهرة : ١٩٦٥
مهرجان الشعر السابع . القاهرة : ١٩٦٧

مهرجان الشعر الثامن . القاهرة : ١٩٦٩
مهرجان الشعر التاسع . القاهرة : ١٩٧٠

محمود ، عبد المطلب :
«المخاضة الثانية» الثورة (العراقية) (١٩٧٨/٢/٩) (ش)

مردم بك ، خليل :
ديوان خليل مردم بك . دمشق : ١٩٦٠ .

مردم بك ، عدنان :
صفحة ذكرى . القاهرة : ١٩٦١ (ش)
عبير من دمشق . بيروت : ١٩٧٠ (ش)

مريدن ، عزيزة : القومية والإنسانية في شعر المهجر الجنوبي .
القاهرة : ١٩٦٤

المقدس ، أنيس :
الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ط ٣ . بيروت :
١٩٦٣
«صلاح الدين مثال البطولة النبيلة» مواكب النور .
بيروت : ب.ت (م)

المنصور ، محمد ناصر :
«عزف منفرد على بصمات الليل» جريدة الرياض (٢٧/
١٩٧٩/٥)

ناصف ، على النجدي :

الدين والأخلاق في شعر شوقي . القاهرة : ١٩٦١

النجار ، أحمد :

الإنتاج الأدبي في مدينة الاسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي . القاهرة : ١٩٦٤

النجمي ، كمال :

الانداء المحترقة . القاهرة : ١٩٦٤ (ش)

النشاشيبي ، اسعاف :

البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي القدس : ١٩٣٦ (خ)

الهنداوي ، خليل :

دمعة صلاح الدين . بيروت : ١٩٥٨ (ق)

وداعاً عبد الناصر (لعدد من الشعراء) القاهرة : ١٩٧١(ش)

يوسف ، سعدي :

«تأملات عند أسوار عكا » الآداب ١٥ (٩/ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٧) ص ١٧ (ش)